

عبد الكريم غلاب

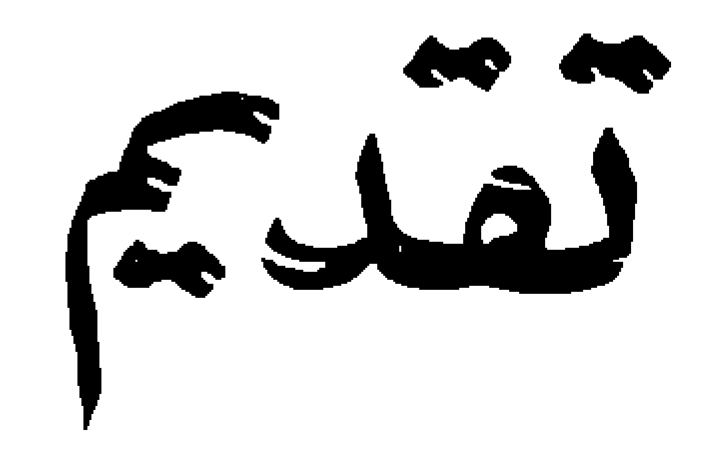
ملامح من شخصيّة

علّال الفاسي

عبد الكريم غلاب

ملامح من شخصية

علال الفاسي



تقديم

منذ سنوات وانا أحاول ان اخرج كتابا عن تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب . ولايمنعنى من اخراج الكتاب حتى الان الا الثغرات التى مايزال على أن أملاها ولكنى كلما بحثت فى تاريخ الحركة الوطنية الا وقف علال الفاسى وسط هذا التاريخ يشع ويضىء ويملا مكانه الضخم حتى أصبحت الحركة الوطنية متجسدة فيه . فقد كان يطبع خطواتها ببصماته وينفخ فيها من روحه باعتباره قائدها الاول ولذلك كان من الضرورى أن أكتب كتابا عن علال الفاسى حتى لااكون مقصرا وانا احاول ان اكتب تاريخ الحركة الوطنية.

وليس من السهل أن يكتب كاتب عن علال الفاسى الا اذا كان من الصبر بحيث يستطيع ان يتتبع هذا الرجل فى أفكاره وتخطيطاته واتجاهاته السياسية والفكرية والاجتماعية ، فهو مضطر اذن أن يقرا كل ماكتب علال، وليس من السهل أن يتوفر كاتب على قراءة كل ماكتب علال الفاسى ، وأن يتتبع فى نفس الوقت كل خطواته القيادية .

وما ازعم انى اعدت قراءة كل ماكتب علال وانا اكتب هذه الملامح ولكنى استطيع ان ازعم انى تتبعت الرجل فى معظم ما كتب ومافكر من خلال صحبتنا زهاء اربعين سنة، الا السنوات التى فصلنى عنه فيها نفى أوسجن او سفر بعيد. وكانت لقاءاتنا اليومية احيانا، الاسبوعية فى كثير من الاحيان اكبر زاد لى فى التعرف على آرائه وأفكاره

وكان هذا الكتاب ملامح مما تعرفت عليه من آراء معلمى الاول وافكاره ولااستطيع ان ازعم انه يعطى الصورة كاملة عن علال الفاسى رحمه الله ، فالصورة ستتضح أكثر كلما توغل قراؤه ورغاته فى هذا الفيض من النضال السياسى المطبوع بالنضال الفكرى فى سبيل المغرب وبلاد العروبة والاسلام ولكن الكتاب مع ذلك يرسم صورة واضحة عن نضال علال الفاسى أقدمها للجيل الجديد الذى يهمه ان يعرف ملامح من عمل علال الوطنى والفكرى فيتعرف فى الوقت نفسه على ملامح من نضال الوطن والمواطنين ليسير فى نضاله على هدى من الاسس التى رسمها علال الفاسى

وما اعتقد انى خدمت بهذا الكتاب ذكرى علال الفاسى كما يجب ان يقوم بذلك تلميذ يعتز بالانتساب الى مدرسة علال ، ولكنى اعتقد انى رسمت بهذا الكتاب الطريق امام الجيل الجديد الذى اعتز بانى اضع قلمى فى خدمته

الرباط أول سبتمبر 1974

عبد الكريم غلاب

إنسان

من الصفات التى اكسبت **علال الفاسى زعامته أنه لم يكن زعيم الصالون أوزعيم المكتب ، ولكنه كان زعيم الشارع. فقد بدأ عمله النضالى طالبا يشعر بواجب الاتصال بالطلاب ، وانتهت حياته وهو يشعر بواجب الاتصال بالطلاب** ومن هم على شاكلة الطلاب شعبية ونضالا وحماس ومناقشة وكان يحس بأن دوره ليس فى التفكير منفردا ولكنه فى التفكير مع الناس وبالناس ولذلك كان يتصل بالفلاحين القادمين من كل انحاء المغرب ، وبالصحراويين الذين يقطعون الفيافى والقفار من اجل ان يجلسوا **معه ويناقشوه فى مشاكلهم** وكان يتصل بالعمال ليدرس معهم مشاكلهم ولو تعلقت بعيد فاتح مايو او باضراب **فى معمل او بطرد زميل لهم أو** بالنقص من أجورهم وكان يتصل بالصناع ليدرس **معهم** مشاكل الصناعة التقليدية فى الدراز أو دار الدبغ او معمل النحاس او صناعة البلغة وكان يتصل بالعلماء والمثقفين والصحفيين من كل اتجاه ليناقشهم المشاكل التى

فيها يفكر أو يفكرون وكان يتصل بالمناضلين في الحزب ليدرس معهم ادق المشاكل التى تعترضهم ولو كانت قضايا محلية يمكن حلها بالاستغناء عن عمله واجهاده فيها

هذه الشعبية اكسبته حبا فى الناس فلا يرتاح فكريا ونفسيا الا مع هؤلاء واولئك ولكنه حينما يجتمع مع هؤلاء جميعا لا يشعر بالفوقية ولا حتى بالاستاذية ، وانما يتحدث معهم كما لو كان واحدا منهم مشكلتهم هى مشكلته واهتماماتهم — حتى خارج العمل السياسى — هى اهتماماته ولا تكاد تفوته حتى جزئيات حياتهم الخاصة فيعنى بها ويسأل عنها كما لو كان ابا يسأل أبناءه عن المرحلة التى وصلت اليها مشاكلهم

ومن هنا تجده يهتم بهذه الاتصالات الانسانية فيعود المريض ويحضر حفلات الاصدقاء والمناضلين ويواسى المكروبين ولو تحمل فى سبيل ذلك جهدا فوق طاقته

ما أذكر انه اتخذ من احد خصما انسانيا يختلف مع هذا او ذاك فى المبدأ والعمل والسياسة ولكنه يقدر آراء خصومه السياسيين ويناضل للانتصار لمبدئه بالجدل المنطقى والسياسى . ولكنه مع ذلك يظل فى علاقاته الانسانية على خير ما يحفظ الود ويضمن الاحترام

وما ذكر انه احتد مع احد فى نقاش الا كان اول من يبتدره بكلمة مجاملة يحاول بها أن يمحو كل ما قد يكون

على بنفسه مما يسىء

شدهت مرة اذ قطع حديثا سياسيا كان يناقش فيه بحدة وافتر وجهه عن ابتسامة انسانية عذبة والتفت الينا وهو يقول اسمعوا انه صوت البنية الجديدة التى ازدادت فى هذا الاسبوع فى غرفة حارس منزله ولو قدر آنذاك لترك العمل ليذهب الى مناغاة الطفلة الصغيرة

كان يخجل ضيوفه حينما يتحرك من مكانه ليوزع عليهم الشاى بنفسه أو يدور عليهم بطابق الحلوى وهو مستمر فى حديثه السياسى او مناقشة راى او الاقناع بفكرة

وكان لا يقبل التنازل عن حقه فى أن يقوم بعمل انسانى يعتبر ذلك اكثر من واجب ولا يعتبره واجبا نحو الاخرين ولكنه يعتبره حقا له ليس لاحد ان يسلبه عنه هذا الحق ولو بحجة انه عمل شاق او يرهق صحته

عاش فى منفاه السحيق تسع سنوات تعلم فيها أكبر درس انسانى يمكن أن يتعلمه انسان فقد كان يشهد يوميا مظاهر من العنصرية البغيضة التى كانت تمارسها الجالية البيضاء على سكان الغابون السود ولو استطاع أن يناضل فى سبيل انسانية الانسان الافريقى لفعل ولكنه كان فقيد حرية العمل والتصرف والممارسة فلم يكن يسمح له الا بدقائق معدودات يخرج فيها من غرفته ليرى النور ويتنفس الهواء ، ويرى مع ذلك المناظر المؤذية

التى يمارسها الاستعمار العنصرى البغيض ضد المواطنين الافريقيين

طوف فى كثير من انحاء العالم شرقا وغربا ، وكان مهمته لم تكن سياسية فحسب ، ولكنها كانت مهمه انسانية حيثما طاف لا يكون مناصرين لقضية الوطن فحسب ، ولكنه يكون أصدقاء لا ينسى صداقتهم مهما بعدت المسافات او توالت الايام ولهذا تجد الذين يتفقون معه فكريا وسياسيا أو يختلفون يحتفظون بهذه الصداقة لانه غزاهم انسانيا ، ولو لم يستطع أن يقنعهم فكريا او سياسيا

قابلت اخيرا مثقفا ماركسيا كان يجتمع به فى احدى مكتبات القاهرة ، وكان معه على خلاف عقائدى ولم يره منذ ازيد من عشرين سنة وحينما رآنى سالنى عنه ثم قال انى أحب هذا الرجل لقد تناقشنا طويلا فلم يقنعنى ولم اقنعه ، ولكنى اقدره واحبه لانه انسان ومفكر .

سمع اخيرا أن فتى من تلاميذ المدارس الثانوية يعرف والده كسرت رجلاه فى حادث سير ، فانتقل مرة واخرى وثالثة الى المستشفى وصعد الطابق الثالث — رغم علة القلب — لان المصعد لم يكن يستعمل لغير الموظفين وجلس الى الفتى — بعد أن عرفه بنفسه — يواسيه ويرفع معنوياته ويؤكد له مستقبله دون أن يدرى

احد بهذه الزيارة ، حتى وا ده لم يكن يعرف الا بعد أن تتم وحينما سمع الفتى النبأ الدجع تحامل على نفسه مستعيا بعكازين ، ووقف على القبر يشهد جثمان الرجل العظيم الذى كان يزوره فى محنته وهو يوارى التراب

يرحمه الله لقد كان قلبه كبيرا يسع الدنيا لانه كان انسانا كبيرا

إيمان
بالله وبالحياة والإنسان

النضال والجهاد والتضحية والممارسة الدائبة عمل ايجابى . والعمل الايجابى فى حاجة الى حافز ليمده بالقوة لان الايجابية اقوى من السلبية ، ولانها انطلاق وحركة ، وليس اصعب من الانطلاق والحركة ان لم يكن هناك قوة دافعة تخرجها من عالم القوة الى عالـــم الفعل كما يقول الفلاسفـــة

والرجل الذى وهب خمسين سنة من حياته لم يضيع فيها دقيقة واحدة — الا ان تكون مسلوبة منه — فى غير النضال والجهاد والتفكير والممارسة الايجابية لا يمكن ان يكون الا مدفوعا بقوة دافعة وليس هناك قوة اقوى مـــن الايمـــان

رجل مثل علال لم يكن ليقف من الحياة والفكر والناس موقفا سلبيا لانه جبل — ودليل ذلك كل ذرة من حياته — على ان يكون ايجابيا والايجابية عنده ليست هواية او صناعة ولكنها تكاد تكون جزء من ذاتـــه ، فلو لم يوجد

فى وسط يدعو الى الايجابة لكــون الوسط الذى يستنفد ايجابيته ويمتصها

ومن هنا كـــانت الاصول التى يمتح منها لا تنتمى للسلبية بسبب وانما هى الاصول الايجابيـــة التى تصنع الرجل الايجابى

فى مقدمة هذه الاصول الايمان

الايمان ايجابية لانه اكتشاف للحقيقة وتفاعل معها وممارسة مع عالم لا يخفيه عنــك الا جهلــه او انكاره أو التخلص منـــه

وهو ايجابية لانه استخدم ممكنات الانسان الفكرية والنفسية والروحية فى التعامل مع عالم قد يكون مجهولا بدون الايمان والالحاد أو الانكار أو اللامبالاة مغرقة فى السلبية لانها تخلص من استخدام الفكر والقلب والنفس والروح جميعا فى عالم قد يكون معنويا وقد يكون ماديا

وعلال من نوع الرجال الذين لا يريدون أن يعطلو طاقة من طاقاتهم الفكريـــة والروحية جهلا أو تجاهلا أو كسلا أو استمراء للراحة ولذلــك كان اكبر طابع يطـــبع حياته وتفكيره وعمله هو الايمان

كان مومنا بالله لا لانه وجد فى بيئـــة مسلمة وتعلم تعليما اسلاميا فحسب ، ولكن لانه يكتشف كلما طال به زمـــن الحياة والممارسة والتفكير والقـــراءة بأن الله مـــوجـــود .

ومن ايمانه بالله كان يستمد الايمان بالحياة ، فلم يكن عدميا او عبثيا يعتبر الحياة ضربا من العبث توجد وتنتهى لمجرد الصدفة او لانها ارادت هكذا أن تكون وذلك كان يحب الحياة ويتعشقها لا لانــه يلتذ بطيباتهـا ويرغب فى صحبتها ، ولكن لان الحياة شىء ثمين وجد فى الكون ليعاشر بالعمل والنضال والجهاد

واذا كان الانسان خليفة الله فى الارض فان الحياة التى يحياها يجب أن تكون على قدر هذه الخلافة فى السمو وأولى مراتب السمو الايمان بها ثم العمل لتكون حــيا، حقيقية فاعلة منفعلة مستمرة متطورة دائما الى احسن

من هنا كان لا يقوم بأى عمل الا اذا امن به وايمانه بجميع اعماله مستمد من ايمانه بالله

آمن بالانسـان لانه خليفة الله فى الارض وآمن بان هذا الانسان يستطيع ان يسير الحياة ويغيرها ويطورها ويخلق ويبدع ويفكر ويجاهد ويناضل ولــم يكن انسان بلاده ـــ حتى فى أحلك الظروف التى مرت بـــه فى تاريخه القديم والحديث ـــ يختلف عن اى انسـان لانه لا يفترق عن الاخرين ذكاء وقدرة عمل ولو نقصه العلم والتجربة وقد ناضل فى ان يستكمل له العلم والتجربة

ومن ايمانه بانسان بلاده آمن ببــلاده فهى المنطلق الحر لهذا الانسان ولم يكن حبــه لها حبا صوفيا او حبا بدائيا كما يحب الناس أوطانهم فى اخلاص فحسب ، ولكنه

كان يحبها بفكره وقلبه جميعا وما نضاله من اجلها الا انطلاق من الايمان بها كان يومن بأن المغرب والوطن العربى والاسلامى قادر على أن يقوم بدوره فى الحياة لا ايمان العاطفة ولكن ايمان العقل فالموقع الستراتيجى والجغرافى والمركز الاقتصادى والمنطلق الحضارى كل ذلك يجعل هذه البلاد مركز الثقل فى العالم ولذلك فهى قادرة على ان تعمل ويجب ان تعمل

وكان يومن بقدرته على أن يخلق من المواطن الذى يبدو فاقد الوسيلة رجلا قادرا على أن يملك كل وسيلة للعمل ولذلك كان يخطط للمواطنين الطريق ويهديهم للمنهج ويدفع بهم للعمل

وكان يومن بأن بلاده ستستقل رغم أن فترة عمله الوطنى وفترة النفى الطويل كانت توحى باليأس فما كان ييأس قط حتى فى الظروف التى تبعث على اليأس ومن الذين يبعثون على اليأس

وكان يومن بأن الاستقلال سيتحقق فى حياته ، رغم أن اكبر المتفائلين كانوا يراهنون على خمسين سنة أخرى من الاحتلال

ومن ايمانه هذا كان يستمد الايمان بأن كل عمل اقتنع به لابد ان ينفذ . واكثر ما كان يغيظه ان يقنع أصدقاءه بوجاهة الفكرة ثم تبدا الاعتراضات التى تدعو الى اليأس من تنفيذها اقدم على اعمال كبرى نجح فى الكثير

منها وفشل فى بعضها ، ولكن فشله لم يكن قط يقهر ايمانه بها وبأنه سيعيد الكرة الى ان ينجح . قام بأعمال لم يكن احد فى مسؤوليته الوطنية ان يقوم بها ، ولكنه كان يتخطى كل الظروف والملابسات ، لانه كان يومن بها ، والهدف هو النجاح

ولكنه ما قام بعمل قط او وافق على القيام به لم يكن يؤمن بجدواه

من كل هذه الملامح يمكن أن نقول ان جماع شخصيته كان هو الايمان ، وان زعامته لم يكتسبها بالسلبية التى تعنى فقدان الايمان ، ولكنه اكتسبها بالايمان المطلق الذى يعنى عمق الايجابية

زعامة

« ــ واخترناه رئيسا لجماعتنــا السرية الاولى فى القرويين مع انه كان أصغرنا سنا لمــا كان يتمتع به من ذكاء وقدرة على الفهم والتعبير والاستيعاب وتقدير بين جميع زملائــه » .

على هذا النحو تحدث المغفور لــه الاستاذ المختار السوسى عــن المراحل الاولى للحركة الوطنية فى أحــد كتبه ومنذ ذلك الوقت بدات زعامة علال تتبلــور لتأخذ ابعادها الواقعية التى ظــهرت فيها وهو يقــود معركة الاستقــلال ومعركة التحريــر ، ومعركة الصحراء ومعركة الديمقراطية ومعركة التعادلية ، ومعركة التحرر من رواسب الاستعمار الفكرى واللغوى ، وتحرير كرامة المواطن من الاعتداء والاهانــة والظلم ، **ومعركة تحرير** المجتمع من التــخلف وبقايا الخرافــة **وبقايا التغلــغل** الاستعمارى فى النفوس

لم تكن زعامة علال اذن مفروضة من فوق فلم ينلها

بالقوة ولا بالتسلط ولا بالصدفة ولا بالسهولة واليسر التى
نال بهـا كثيرون الزعامة فى كثيـر **من البلاد عن طريق**
صناديق الانتخاب أو التملق **الى الاصوات بالوعود والبرامج**
المكتوبة ولكنه نالها بالعمل والتضحية والممارسة اليومية
مـع المواطن فى همومـه ومشاكله وحاجاته وآمـاله
ومطـامحه

ونالها بفكره الوقاد الذى كان يعيش مع القضية فى
أيامه ولياليه يفكر فيها حتى يستخرج الحل لصالح الوطن
والمواطنين ويبدأ العمل حتى ينجح أو يعبىء المواطنيـن
للعمل حتى يقارب النجاح

ونالها بقلبه الواسع الذى لا يضيق عن احتمـال
هموم كل طفل ليدخل المدرسة ، وكل عاطل ليعمل ، وكل
عامل أو صانع حتى ينجح أو يسعد فى عمله وكل فلاح
حتى يجد الارض — وكـل مواطن حتى يكسب المواطـنة
الحقيقيـة

ونالها بشمولية تفكيره فى **شؤون الوطن والمواطنين**
الصحراء عنده كالمدينة **والقرية والجبل والسهل ، كلهـا**
تكون الوطن الذى استخلف الله الانسان فيه **وكلها تقتضى**
منه النضال لتتحرر أرضنا ، وليتحرر الانسان **فيها مواطنا ،**
ولتكون جميعها الوطن الـذى وهب نفسه ليستعيد لـه
حقيقته ووجوده ومعناه وكرامته.

ونالها بالتضحية من اجل كل هذه الابعاد النضالية

فقد كان يؤمن أن فكرة من افكاره لا يمكن أن تتحقق بغير تضحية ، ولذلك كان طبيعيا ان يتقدم الصفوف كلما حزب الامر ودعا الى التضحية والبذل ، فكان أن سجن فى سنة 30 ونفى فى 33 وسجن فى 36 ونفى تسع سنوات فى سنة 37 ، ولم يكد يعود الى الوطن حتى فرض عليه نفى اختيارى سنة 47 وحوصر فى مدينة طنجة بعد عودته من الشرق العربى ليطوف بعد ذلك فى الافاق منذ معركة جوان الاولى ضد الوطن والعرش سنة 51 حتى تحقق الاستقلال سنة 1956

ونالها بالعمل الفدائى الذى نظمه منذ نداء القاهرة عشية 20 غشت 1953 حتى تكوين خلايا الفدائيين وتزويدهم بالسلاح ثم تكوين جيش التحرير المشترك لتحرير المغرب والجزائر ، والذى بدا المعركة فى الاوراس ثم فى بورد وتيزى وزو واكنول

ونالها بالمواقف الشجاعة التى لم يكن لاحد أن يقفها لدقتها وعسر المنفذ اليها وكان علال يقفها ويخوض المعركة من اجلها ولو حفت طريقه بالمتاعب وتاريخه حافل بهذه المواقف التى يطبعها ذكاء الفكر وشجاعة القلب والجرأة على الجهر بالحق والاقدام على العمل

ونالها بالتفرد بالمواقف التى تبدو خيالية حتى اذا اقنع بها عن طريق الايمان والتشبث والعمل الدائب سأل كل واحد نفسه كيف كنت احسب ذلك ضربا من

الخيـــال

وناله وهو يسجل افكاره التقدمية بنفس الشمولية والشجاعة والمنطق ويشرح فلسفتها بنفس الطريقة التى اقتنع بها هو ، فى مجموعة من الكتب والخطب والتقارير والقصائد والمحاضرات والمذكرات

عن هذا الطريـــق الوعر الذى اقتضى من عـــلال خمسين سنة من النضال القاسى ـــ وقد كان يقتضى من جماعات غيره مئات السنين ـــ **نال علال زعامته التى لم** ينازعه احد فيها لان أحدا لم يستطع أن يقوم بما قام به علال فى نصف قرن الاخير وهى زعامـــة طبعت المغرب والمواطن المغربى بكل الفـــارق الذى نلحظه بين مغرب العشرينات ومغرب السبعينات



لا يمكن أن نتصور زعامة بدون طموح

ولا يمكن ان يكون عـــلال هو عـــلال دون أن نضع الطموح فى مقدمة مميزات شخصيته السياسية **والوطنية** والعلميـــة

ولكن يجب ان نفرق بين طمـــوح وطموح الطموح الاهوج الذى لا يقيم وزنـــا **للمعطيات الفكرية والشخصية** لصاحبها ولا للاهداف التى يريـــد أن يحققها لمصلـــحة بلاده والذى يقوم على أساس الانانيـــة وحب الذات واعتبار الهدف هـــو ذات الشخص الطموح فهذا **طموح** ينتهى بصاحبه الى الفشل ، **أو الى تحقيق أهداف صغيرة** لا تعدو ان تكون لذات فانيـــة لا اشعاع لها **على الوطـــن** ومصلحتـــه

وطموح كهذا لا يمكن ان يؤهل الشخص الى الزعامة الفكرية أو السياسية أو الوطنية

والنوع الثانى الطموح المتعقل الذى يستمد كيانه من

واقع الشخص الطموح وقدرته الفكرية واهتماماته الوطنية والسياسية والاهداف التى يريد تحقيقها لبلاده على ان تكون هذه الاهداف مما يحقق مصلحة الوطن والمواطنين وطموح كهذا يستمد — ولا شك — كيانه من الشخص الطموح ومقوماته ، ولكنه يكاد يفرض نفسه عليه ، فلا يكون مثل هذا الشخص الا طموحا ، والا لن يكون هو هو . وقد يكون كل شىء **الا ان يكون الزعيم الذى** يفرض نفسه على الاوضاع ويحقق لبلاده ما يريد من تطور واصلاح

وقد كان علال من هذا النوع الثانى فقد كانت ممكناته الفكرية والشخصية ، وكانت أفكاره فى بناء كيان المغرب المستقل وكان ايمانه بشعبه وبتاريخ بلاده ، وكانت ثقته بنفسه والزمرة التى يعمل معها تجعل منه شخصية طموحا ابعد ما يكون الطموح

عرفت عنه هذه الصفة وهو شاب يافع فى بداية عهده بالعمل العلمى والسياسى وكانت تستجيب له ، فلا يكاد يرسم — أو لا تكاد الاقدار ترسم له — هدفا الا وكان طموحه مستجيبا له يحققه ان قريبا او بعيدا

لا اذكر المراكز التى احتلها كشاعر أو خطيب او عالم او قبل ذلك كزعيم للطلبة ورئيس لاول جمعية سرية دونها طلاب القرويين للعمل السياسى ، او ترؤسه لاول حزب سياسى تكون فى المغرب والذى تطور اسمه من كتلة العمل الوطنى حتى الحزب الوطنى حتى حزب الاستقلال ،

فقد سعت اليه كل هذه المراكز دون أن يسعـــى اليها أو يبذل فى سبيلها من طموحه ولكنى أذكر الاهداف الكبرى التى طمح اليـــها وحققها وقد كانت حلمـــا لا تراود الا الطامحين لتحقيق كبريات الاهداف

لقد طمح لاستقلال المغرب منذ بداية العمل الوطنى ، والاستعمار يومئذ فى اعتى مراحلـــه وقدم طلبا بهـــذا الاستقلال وهو منفى فى قرية مهجورة فى مجاهل افريقيا كما كانت تدعى آنذاك ولم يكن أحد يطمح حتى فى سلامة فرنسا نفسها من الاحتلال الالمانى

وطمح للثورة على الاستعمار حينما أعلن نداء القاهرة بعد اعتقال محمد الخامس وعائلته **بساعتين . وكان يومن** بأن شعب المغرب سيستجيب لهذه الثورة ولكن طموحه للثورة لم يكن فكـــرة او حلما أو نـــداء من صوت العرب بالقاهرة فحسب ، وانما كان **عمـــلا مدبرا حرص على أن** ينفذه منذ أعلنه فنظم المقاومة وزودهـــا بالسلاح وشارك فى تنظيم جيش التحـــرير المشترك بين الجزائر والمغـــرب ليهدم الاستعمار هنا وهناك وحمل فكرة الثورة على عاتقه يتجول بها فى الآفاق الاسيوية والاوروبية والامريكية . وحقق طموحه منها ما أراد فكانت الثـــورة فى البلدين ، وكان استقلال البلديـــن

وطمح لبناء كيان المغرب السياسى على أساس من الديمقراطية ولم يكن طموحـــا مرتجلا أو فكـــرة مجردة يعلنها شعارا يتردد يخفق وانما ظل يعمل لها بالتفكير

والتدبير والتوجيه والتنــوير والاقناع واخذت الفكــرة طريقها المتعثر ولكنه لم ييأس قــط ، لان طموحه كــان يهديه الى انها اصلح اسلوب لبناء البلاد بأسلــم طريق وباجماع شعبى حقيقى

وطمح لتغيير وجــه التعليم **والثقافة فى هذه البلاد** على اساس من الاصالة فى اللغــة والانسية والديــن والاستقامة الفكرية وكانت دعوته لهذا الهدف لا تعرف الانهزام ولا التخلى والتراجع عن القيم التى اختطها او على جزء منها وكان يصارع فى هذه القيم كل الذين يخالفونه ولو كانوا من اقرب المقربين أو أقرب الاصدقاء

وكانت الدنيا تظلم أحيانا أمام ناظريه حينما يطغى الانحراف فى العقيــدة او المبادىء او الافــكار على نطاق المغرب او على نطاق العــالم الاسلامى والعربى ، ولكنه يطمع فى أن يغير هذه الاوضاع ، وهو لا يملك قــوة ولا سلطة ـ وربما كان خصومه من ذوى القوة والسلطة على هذا النطاق الواسع اكثر من انصاره ـ ولكنه مع ذلــك يعمل لانه يطمح فى ن يغير ما بالنــاس حتى يتغير هذا الانحراف وتعود الدنيا فتشع أمام ناظريه لانه يهتدى الى العمــل

والعمل بداية مهمة لارضاء هذا الطموح

لقد حاول الكثيرون منذ بداية عهد عــلال بالشهرة على النطاق الوطنى والعلمى أن يهدموه عن طريق طموحه ،

فيفسروا هذا الطموح تفسيرات مختلفة كان بعضها يمكن
ان يسلم عنقه الى حبل المشنقـــة واستغل الاستعمار
هذا الطموح المستمد من قوة علال الفكرية وقدرته على
ابتكار الافكار وتحقيقها ليهدمه كشخص ولم يكن أمـــام
الاستعمار الا ان يسجن وينـــفى ويشرد ويعذب ويدس
ويكون الخصوم والاعداء ، ولكنه بطموحه انتصر على كل
هذه المعوقات وخرج علال الطموح ليحقق مطامحه فى كل
ما كتب ووجه وفكر وخطط ونظـــم ، وفى كل ما خلق من
تيارات وطنية يشهد بها خصومه قبل اصدقائه ، ولو ان
بعض هؤلاء الخصوم ما يزالون يرددون بعض ما كانت ادارة
الحمايـــة تفسر به طموح عـــلال فى بدايـــة الثلاثينات ،
يرددونه فى السبعينات وبعد ان انتقل الى جوار ربه

نضال
حتى الرمق الأخير

النضال يأخذ مفهومه من الهدف الذى يستهدفه المناضل وقد كان الهدف من نضال علال اكبر من أن يتحقق بسهولة ويسر لم يكن الاستقلال وحده ، ولم يكن بناء الاستقلال وحده ، ولكنه كان الى جانب ذلك تجنيد المواطنين لكى يناضلوا فقد كان يرحمه الله رغم قدرته على العمل وتضحيته الكبيرة ونضاله المستميت وكلمته المسموعة وهيبة رايه وجراته على قول الحق ، يعرف أنه مستطيع بشعبه ولذلك كان نضاله مستمدا من نضال الشعب وكان عليه أن يجند الشعب **للنضال حتى يستطيع أن يكون** لهذا النضال مردود وهو تحقيق الهدف فى الاستقلال والوحدة وبناء الكيان الاقتصادى والسيسى والاجتماعى للبلاد وتحقيق الديمقراطية والتعادلية وتحرير الوطن العربى والاسلامى

هذه الاهداف الكبرى كانت فى حاجة الى نضال

مستميت ، وهذا النضال هـــو الذى طبع حياة علال مـــنذ فارق حياة الطفولة عنـــد الخامسة عشرة من عمره حتى سقط شهيدا فى المعركـــة وهو يدافع عن فلسطين فى سن الرابعة والستـــين

نضال علال لم يكن نضال كلمة فحسب ، ولا نضال توعية فحسب ، ولكنه كان نضال عمل ونضال العمل كان يقتضى التضحية ، ولذلـــك كان يتعرض فى كل فترة مـــن نضاله للسجن والنـــفى والتشريد وكان يقتضى التنـــقل ولذلك طاف فى أرجاء القارات الاربع من اندونيسيا واليابان حتى الهند وباكستان واوروبـــا وامريكا الشمالـــية ودول أمريكا اللاتينية وكل مكان يستطيع أن يرفع فيه اسم المغرب واسم العرب واسم المسلمين

ونضاله كان يتطلب المبدأ والقرار وفى هذه النقطة كان مدينا لفكره الوطنى وتنبه الكبير الذى يزخر بحب بـــلاده ، ثم لقرار اخوانه فى الحزب يحمل المبدأ والقرار ثم يصبح صامدا لا يعرف الهوادة ولا المسالمة ولم يعرف عنه انه تنازل عن مبدئه ، ولا اعتبر تحقيق اية خطوة انتصارا الا ان يحقق الهدف بكاملـــه وفى سبيل تحقيق المبدأ كـــان يناضل حتى النهايـــة

ونضاله لم يكن يعرف الراحة ولو على حساب صحتـــــه وراحته كان يتنقل المسافات الطويلة ليحضر اجتماعا للحزب او ليحاضر جماعة عن قضية وطنية او علمية او

ليحضر مؤتمرا او ليدعو الى فكرة وكانت خصومته الدائمة مع الاطبـــاء انهم يحاولون ان ينصحوه ليتجنب السفر او التنقل ولو بعد ان داهمه مرض القلب قبل وفاته بسنتين، فكان لا يستجيب لهم كلما دعاه واجب العمل وكان يعلن لهم كلمته المشهورة لن أموت قبل أن أموت » لانـــه يومن بأن التوقف عن العمـــل موت ولذلك لن يقتل نفسه قبل ان يختطفه الموت وما عرف عنه انه رحل ليستريح من العمل بل كـــان يملا كل دقيقة من وقته فى التبشيـــر بأفكاره محاضرا او متحدثا او مدليا بتصريحات للصحافة او مقنعـــا بفكرة

وكان السجن والنفى لايمنعانه من النضال وفى غمـــرة نفيه السحيق حاول أن يتصل بالجنرال دوكول ، وهو يومئـــذ يتزعم فرنسا الحرة حينما زار برازفيل ، فلما منع من مقابلته بعث له بمذكرة يطالب فيها باستقلال المـــغـــرب واشترط على الذين راودوه أن يدعو مواطنيه المغاربة الـــى مناصرة الحلفاء ـــ وكان ذلك يعنى الافراج عنه ـــ اشتـــرط عليهم ان يعلن الجنرال دوكول مبدأ استقلال المغـــــرب وفشلت المفاوضات غير المباشرة معه سنة 1943 لانـــه أبى ان يتنازل عن شروطه وفضل البقاء فى المنفى ثـــلاث سنوات اخرى ليبلغ نضاله مداه او يعلنون استقلال المغرب.

وكان يجند الشعب معه فى النضال من أجل افكاره الوطنية الاستقلالية والاصلاحية والاسلامية لانه يومن بالشعب ويعتبر

نضال الشعب هو السبيل لتحقيق الهدف الذى يناضل من اجله.

هكذا كانت حياته نضالا هادئا لايعرف الكلل ولا الملـــل ولايؤثر الراحة ولاالصحة ، بل ولاالحياة ، على نضال مستميت فى سبيل شعبه وبلاده وعقيدته

درس كبير قدمه لشباب هذه البلاد ، بل للشباب فى جميع البلاد ، قدمه من حياته وعمله وفكره والذين يذكرون علال اليوم بعد أن فارق الحياة سيذكرون فى مقدمة مايذكرون هذا المثل من الرجل الذى ناضل وجاهد حتى الرمق الاخير مـــن حياتــــه

العمل قيمة الحياة

عمل العظماء صورة من افكارهم ، بل هو الــذى يترجم افكارهم ليــعطى صورة عن حياتهم وقد كان عمل علال صورة من الافكـــار الكبيرة التى يحملها ويــناضل فى سبيلـــها لا يفترق عـــنده التفكير للفكرة عن بلورتـــها وتشخيصها والعمل لها الى أن تنجح وتتحقق

لهذا كان حركة دائبة يفكر ويبلور الفكرة ويعرضها مكتوبــة او مقولة على بساط البحث والمناقشـــة ويدافع عنها ثم يقوم بتنفيذها ولذلك لــم يكن يشغل نفسه الا بالتفكير والعمل فى اطار المجموعة التى يعمل معها ، ولم تكن المجموعة الا الشعب بكامله

الذيــن يستعرضون حياته الفكريـــة وعمله الوطنى والسياسى يحسون بأنه عمل اكثر ممـــا يحتمله انسان فى وقت لا يحتمله عمل مناضل ضاعت اجــزاء طويلة منه فى المنافى والسجون والمعتقلات ولكن الذين يعرفون عـــلال عن قرب يحسون بأنه كان يعمل بالليل والنهار حتى أن ليله كان اطول من ليالى الناس ونهاره كان أطول من نهارهم

لقد عرفناه — مثلا — يكتب كل يوم فصلا من كتابه الحركات الاستقلالية كتبه فى القاهرة بعيدا عن مراجعه ولكنه كان يكاتب اصدقـــاءه ليطلب المعلومات والتواريخ ويعود الى المؤلفات المكتوبة عن تونس والجزائر كما يعود الى ذاكرته كان يكتب الفصل من الكتاب فى الليل ويحمله صباحا الى مكتبه فى مكتب المغرب العـــربى ليدفعه الى الآلة الطابعة

وعرفناه مثلا يكتب النقد الذاتى نشره فصلا بفصل فى رسالة المغرب الاسبوعية فلم يتأخر الفصل عن موعده المقرر طيلة المدة التى نشر فيها . والذين قرأوا هذا الكتاب يعرفون الجهود العلمية والكتب التى رجع اليها والدراسات الطويلة التى قراها والافكار المبتكرة التى قدمها وتنسيق هذه الافكار بالطريقة العلمية التى كتب بها الكتاب

ولم يكن يأسف لشىء قدر أسفه على ان المطبعة فى المغرب لا تستطيع أن تجارى المؤلف بحيث يتأخر الانتـــاج فى المطبعة اكثر ممـــا يتأخر عند المؤلف ويحكى فى ذلك عن تجربتـــه ولاشك

والذين عايشوه فى العمل الوطنى ، يعجبون كيف كان يبتكر كل يوم فكرة ، وكان من المستحيل احيانا ان تلاحقه اجهزة الحزب لتنفيذ جميع أفكاره المبتكرة وهذا ما كان يحز فى **نفسه دائـما .**

والذين يستعرضون تاريخه النضالى العلمى والسياسى يعجبون كيف كان يستطيع ان يلـــم بهذه الشمولية الكاملة

بجميع الموضوعات التى يتناولها ، فهو يتحدث فى القرآن كأكبر مفسر قضى حياته فى استجلاء معانى القرآن ويتحدث فى الفقه كأكبر فقيه أحاط بكل ما كتبه الاولون ثم كان لــه راى خاص فى كل ما يعرض له من مشكلات الفقه ، ويتحدث فى الاقتصاد كأكبر مطلع على ما كتب فى الموضوع ثم يكون لــه رايه الخاص فى حــل المشاكل التــى يتعرض لها ويتحدث عن السياسة ومشاكلها الوطنية والعربية والاسلامية والدولية حديث الخبير المطلع المتفهم المفتى فى كل ما يعرض من هذه المشاكل

ولا نحتاج الي أن نعدد الميادين التى خاض فيها علال الفاسى ، فالذين عرفوه من قريب أو بعيــد جابهتهم هذه الشمولية الفكرية والعملية

قد يعود ذلك الى ذكائه وتفوقه . ولكنه يعود أيضا الى انه كان يومن بالعمل وبأن الطاقة البشرية لــم تخلق الا لتصرف فى العمل لا يجتمــع مع قوم الا ليفكــر معهم او ليحل مشكلتهم أو ليعرض عيهــم فكرة ارتآها ويقنعــهم بسلامتها ولا يسير فى شارع أو يزور مدينة الا وهو يبحث عن مكتبة يروى منها ظمــأه للعلم ، ولا يتنقل الا ليحاضر أو يدرس أو يخطب أو يجتمع مع جماعات الحزب وفروعه ومكــاتبه .

والذين تتبعوا نشاطــه فى السنوات الاخيرة عنى الاخص كانوا يقدرون قدرة العمل التى كان يتمتع بها . وقد كان وحده يملأ النشاط العلمى والثقافى فى رمضان فيتنقل بيــن مدن المغرب وقراه شمالــه وجنوبه وشرقه يدرس

ويحاضر ويجتمع مع العلماء والطلبة وفروع الحزب ، ثم يأخذ طريقه صباح غـــد الى اقليم آخر بعيد كل البعد عن الاقليم السابـــق .

أكثر ما كان يكره الكسل والتباطؤ فى التنفيذ وكان يعتبر ذلك من المشكلات الاجتماعية الخطيرة التى زادتها الحضارة الحديثة تعقيدا وتنظيما ولذلك كان يكره عطلة الاسبوع لانها تشل الحركـــة الفكرية والعملية فى الجزء السابع من حيـــاة العالم وكان يكره الصيف لانه يشل الحركة على الاقل شهرا فى السنة وهو الجزء الثانى عشر من حيـــاة العالم

وكان يحتقر المسافات فمن أمريكا اللاتينية الى باندونغ ومن شمال أوروبـــا الى قلب افريقيا كلهـــا كانت مجالات لنضاله فى سبيل بلاده ، لم يترك مكانا الا اسمع فيه صوت المغرب ، ولم يترك ناديا ولا مجموعة بشرية الا علمـــها ما هو المغرب وما هم المغاربة ولم يترك قرية فى المغرب الا زارها ليعلمها الوطنية

كان العمل هو وسيلته الى كـــل ذلك ولم تكن وفاته وهو يعمل الا خاتمـــة حية لهذه الحياة المليئـــة بالنشاط والحركة ، والا دليلا قدمه للذين يدرسون هذه الحياة أنه لم يقبل مطلقا أن يموت على فراشه

المبدأ والعقيدة

الذين عرفوا علال الفاسى ودرسوا شخصيته من بعيد قدروا فيه رجل المبدأ يسير على هديه فى كل ما فكر وعمل وناضل وكتب وخطب وحاضر ، لكن الذين عرفوا علال عن قرب ودرسوا شخصيته فى العمل والممارسة وخلق الفكرة وتطويرها الى ان تصبح عملا منفذا أوقابلة للتنفيذ عرفوا ان المبدأ عنده يهتدى بهدى العقيدة ،وان المبدأ لاياخذ مفهومه من السياسة أوممارسة العمل السياسى ، ولكن ياخذ مفهومه من العقيدة

وما كانت العقيدة الا الوطنية والاسلام

فرق كبير بين المبدأ يصطنع لك أو تصنعه لنفسك ، وبين العقيدة تفرض نفسها عليك من خلال تراثك الدينى والفكرى والوطنى ومن خلال ممارستك للتفكير والعمل فتعتنقها لتصبح هدايتك فى المسيرة

وقد كان علال رجل مبدأ مصدره العقيدة

لذلك لا تعارض عنده بين العمل السياسى والتفكير

الاسلامى ولا تعارض عنده بين الوطنية والاسلامية

العمل السياسى يقتضى كل مافى السياسة منمراوغه واستغلال للظروف ومسابقة للحكم وخصومه حادة تبلغدرجة العداوة ، والتفكير الاسلامى يسلب من السياسة كل سيئاتها ليجعلها وسيلة لتحقيق مطلحة الشعب او الامة، وسواءكانت شعبا او امة فهو يراها اسلامية ، بكل ماتوحى به الاسلامية من معانى الدين والعقيدة والفكرة والطائفة والحضارة من اتساع الافق والتعاون مع الاخرين كيفما كان دينهم وعقيدتهم وحضارتهم فى نطاق المسالمة والسلام والاحترام المتبادل

العمل السياسى اذن يندرج عنده فى التفكير الاسلامىلانه يمارس السياسة فى نطاق الاسلام ، ولذلك لامراوغة ولا استغلال للظروف ولامسابقة من اجل الحكم ، الاان يكون الحكموسيلة لتحقيقالفكرة الاسلامية ولا خصومة الا مناجل المبدا الذى مصدره العقيدة، ولا حدة فى الخصومة ولاعداوة.

لذلك تجد علال فى عمله السياسىيعارض الراى ويحتفظ بكامل الود والصداقة والاحترام والتقدير لصاحبه ، وقديخاصم ولكنه لايعادى وحتى الخصومة فى السياسة لاتتعدى العمل السياسى الى العلاقات الانسانية . ولذلك كان يلح كثيراعلى التفريق بين العملين او السلوكين كل منهما واجب يستند الىمبدا، ولا ينبغى ان يسرفاحدهما فيعتدىعلىحق الاخر. وكل الذين اختلف معهم سياسيا ظل يضمر لهم كامل الاحترام،

حتى لتجده يسبقهم بانسلام ويسعى اليهم للعيادة ويجلس اليهم للحديث

ولاتعارض عنده بين الوطنية والاسلامية لان الوطن عنده — كما قلنا فى غير هذا الحديث — لن يكون له مفهوم حقيقى الا فى ظل الاسلامية . قد يعتبر البعض منه ذلك تعصبا ولكنه لايفهم الوطن على انه ارض وسماء أو مجموعه مواطنين تجتذب كلا منهم وقيم عقيدة، وانما يعتبر الوطن وحده بأرضها وسمائها وبحارها ومواطنيها الموحدين عقيديا العاملين فى اتجاه واحد فى ظل عقيدة واحدة

من شرط الوطنية اذن الاسلامية

وليس يعنى ذلك وحدة الدين فى الوطن الواحد هناك مبدأ الطائفة ومبدأ الاقلية ، ومبدأ لكم دينكم ولى دين وهنا تدخل الديمقراطية لتجعل اغلبية الطائفة الاسلامية مثلا تكون وطنا اسلاميا يحفظ كل حقوق الاقلية او الاقليات سواء كانت حقوقا انسانية أو وطنية أو دينية ، كما ان اغلبية الطائفة المسيحية مثلا تكون وطنا مسيحيا مع حفظ حقوق كل الاقليات غير المسيحية ، انسانية كانت او وطنية اودينية.

من المنطق كان علال كون المبدأ الذى يسير عليه فى ممارسته للشؤون الوطنية والسياسية وفى تفكيره الوطنى والسياسى وهذا هو المبدأ الذى انار له الطريق فى كفاحه الطويل

ومن حسن الحظ ان التجاوب كان كبيرا بينه وبين الذين

عملوا فى الميدان الوطنى والفكرى لان مبداه كان واضحا.
كثيرون كانوا استقلاليين لانه استطاع أن ينفذ الى عقولهم وقلوبهم عن طريق هذا المبدأ الواضح، ولانه استطاع وهو يخاطبهم أويناقشهم أويجادلهم فى تفكيرهم على ضوء المبدأ الذى اختطه. وكثيرون لم يكونوا استقلاليين ، او بعيدين عن الاستقلالية او قليلا أوكثيرا ، ولكنهم مع ذلك يقدرون المبدأ الذى كان يصدر عنه علال ويتجاوبون معه ، ولو عارضوا بعض الجانبيات أو الجزئيات أو الممارسات ، ولكنهم يقدرون المبدأ الذى لاينقصه المنطق ولاالصدق والعمق ،ويثقون فى الاتجاه الذى يسير فيه

وقد أضفى علال على الاستقلالية كمذهب وعقيدة وممارسة سياسية هذا المبدأ ، فأصبحت الاستقلالية ايديولوجية متميزة لها طابعها المنفرد بين الايديولوجيات واظهر مظاهر هذا الطابع انها متفردة غير منقولة ولا اتباعية ولاتقليدية . وانها من وحى هذا الوطن ، ونابعة من تفكير رجل عرف بفكره الوطنى الاسلامى وباجتهاده وخبرته وممارسته الطويلة هو علال الفاسى

الأبعاد الحقيقية للوطنية

الكلمة « وطنية » من المفردات الجديدة التى تلقفتها الاذان فى العشرينات ، فاعتبرها البعض سرا يخشى أن يعاقب عليه ، واعتبرها البعض بدعة ، يجب أن تحارب ، واعتبرها آخرون تمردا يجب أن يقبر فى مهده ، وتلقفها آخرون فى بداية الثلاثينات فأعطوها بعدا من انفسهم تافها أو ضحلا او غير ذى مدلول

وكانت عند علال ذا بعد لا يخضع لتعريف ، وانما هى التزام من العلم والعمل تنتهى الاعمار ولا يبلغ الوطنى مداه

كانت الوطنية تعنى أكثر من حب الوطن الحب العاطفى لا يقدم عملا لوطن فى حاجة الى بلورة مدلوله والحب لا ينقذ وطنا اغتصبت أرضه وانتهكت سيادته واستعبد ابنؤه ، وسرقت موارده ، واحتل ترابه ولذلك كانت الوطنية تعنى العمل لتحرير الوطن ، بكل ما تعنى كلمة التحرير من مفاهيم

تحرير وطن محتل ليس من السهل ادراك خطورته عند الذين ولدوا فى وطن متحرر ، ولكن من الصعب القيام به بين جيش الاحتلال والادارة المحتلة والمعمرين المحتلين والاقتصاد المغتصب والتعليم المنحرف والعنصرية البغيضة

هذه هى الظروف التى بدات فيها كلمة الوطنية تأخذ معناها الحقيقى عند علال واصدقاء علال من الذين انشأوا الحركة الوطنية وقادوها فى احلك ظروفها زهاء 50 سنة

وكانت الوطنية لا تعنى أن يكون هؤلاء القادة وطنيين فحسب ، ولكنها تعنى أن يجعلوا من الشعب كله وطنيين ولذلك كانت مسؤولية علال وزملائه مسؤولية ضخمة فى ان ينفذوا بأفكارهم الى قلوب جميع أفراد الشعب ، فكانوا يسيرون الجماعات والخلايا ليجعلوا من أفرادها وطنيين بالمفهوم الحقيقى للوطنية ، وكان عليه ان يعمل فى السوق والنزل « والدراز ومعمل البلغة الدكان ، وكلها كانت مراكز لتكوين الوطنيين عند علال ولكن كان عليه ان يخرج من عالم السر الى عالم الجهر ، فدخل المسجد يبشر بالوطنية من خلال دروس السيرة والتاريخ والتفسير والحديث ، وكانت الجماهير تلتف حوله لتخرج من الدرس وهى تعرف أصدق المعرفة معنى الوطنية ، بل معنى الفداء وكان معظم الذين يحضرون دروسه يصبحون اعضاء فى الحزب ، وكان منهم الذين خاضوا معرك

التحرير فى سنــوات 36 و 37 و 1944 على الاخص ، ومنهم الذين استشهدوا والذين عذبوا ، والذين مايزالون حتى الان عمدة العمد فى حزب الاستقلال

وكانت وسيلته ايضا الى تكوين الوطنيين ما كــان يكتبه من مقالات كلما تمكن من ان يكتب ، ومــا القى من محضرات وما ادلى من احاديث وما قال من قصائد وما انشد من اناشيد مايزال قدماء الوطنيين يعترفون بأنــها الدرس الاول الذى اخذوه فى الوطنية

وكانت وسيلته أيضا الى تكوين جيل الوطنيين المثل الذى كان يضربه بنفسه ، فلم يكن يتأخر حينما يدعو داعى الفــداء الى ان يفدى وطنه بنفسه فسجن ونفى وشرد ولكنه ظل صامدا صابرا مناضلا وبذلــك أعطى مفهوما آخر للوطنيين هو الصمــود والصبر والنضال الى آخــر رمــق

وكانت الوطنية عنده ايضا تعنى الوطن بكامله فقد ورثنــا مغربا لا يشعر فيه المواطن بأنه فى وطن الا من خلال المدينة أو القرية او القبيلة أو الحــومة التى يعيش فيها واصبح الوطن عــنده موريطانيــا وتوات وتنــدوف والساقية الحمراء ووادى الذهب وسيدى افنى وسبــتة ومليلية قبل ان يكون فــاس أو الرباط أو الدار البيضاء وبذلك أعطى البعد الحقيقى للوطنية وظل هذا البــعد يلازمه حتى نداء الكويت قبل أن يسلم الروح باسبوع .

وكانت الوطنية عنده جهادا لا ينتهى بالاستقلال السياسى ، ولكنه يبتدىء فى معناه الاكبر بالاستقلال ، ولهذا فالوطنية تعنى التحرر من الاستعمار الفكرى عن طريق التعليم واللغة والتبعية الفكرية ، والاستعمار القضائى عن طريق القانون ، والاستعمار الاقتصادى عن طريق الراسمال ، والاستعمار الاجتماعى عن طريق ظلم المواطن أو احتقاره استغلاله أو تحريف عقيدته ولذلك ظل يجاهد حتى الرمق الاخير من اجل ان يحقق هذه الابعاد جميعا للوطنية

كان يرحمه الله يفخر بأنه وطنى ، ويختار هذه النسبة للوطن عن النسبة لاية ايديولوجية اخرى لانه اختار ان يلتصق بالوطن وان يناضل فى سبيل الوطن وان يكون مواطنيه على ان يكونوا وطنيين بالمعنى النضالى الذى اعطاه للوطنية

وما اشك فى ان كلمة الوطنية تفخر بالمفاهيم العظيمة التى شحنها بها علال الفاسى

المقاومة ومواجهة التحدي

اذا تلنا ان علال الفاسى ابن المقاومة وزعيم المقاومة نكون قد رسمنا صورته الوطنية فى بعدها الحقيقى فقد كان وهو فتى يحلم بأبطال المقاومة منذ ادريس حتى ابن تاشفين وعبد الله بن ياسين وعبد المومن بن على ، حتى ابطال وادى المخازن حتى موحى وحمو الزيانى ومـــاء العينين وآمزيان وعبد الكريم الخطابى

ولذلك كان يومن منذ **البداية أن الاستعمار لا يمكن** ان يخرج الا بالطريقـــة التى دخل بها فلم يكن احتـــلال المغرب عن طريق السياسة وبيـــع الذمم ، ولكنه احـــتل بالسلاح ، ولذلك لا يمكن أن يخرج الا بالسلاح

لم يكن علال يؤمن بالعنف ولكنه كان يومن بالتحدي

ولذلك كلما عز على الحزب — **فى عهد الاستعمار** — أن يقنع ادارة الحماية بتغيير السياسة الاستعمارية كان يدعـــو الى تجنيد المواطنـــين ليواجهوا هذا التحـــــدى بمظاهرات واصطدامات يمكن أن تؤدى الى عنف نسبى

بين الجانبين حتى تزرع فى قلــوب المواطنين الرغبــة فى التحدى كان ينجح فى كثير من الاحيان فى أقناع اعــضاء الحزب للسير فى هذه الخطة ، وكـــان يفشل فى الاقناع ، ولكن مواجهة التحدى بمثله كان **هو السبيل التى أتبعها** فى تفكيره السياسى مع الاستعمار

وحينما بلغ التحدى مداه فأعلن الفرنسيون عن عزل محمد الخامس ونفيه ومبايعة دمية نصبها جنرال فرنسى على عرش المغرب أعلن دون كبير روية أن المقاومة **يجب** ان تنطلق وطالب الشعب فى نـــداء القاهرة بأن يقـــاوم السياسة الفرنسية بالعنف **وأن يشتهر الحرب على الادارة** الفرنسية وصنيعتها على العرش الى ان يتحقق الاستقلال ويعود محمد الخامس واعلـــن باسم حزب الاستقلال وباسم العلماء الذين كـــان لهم وحدهم الحق فى العـــزل والبيعة عدم الاعتراف بأى نظام غيـــر شرعى تصطنعه الحماية الفرنسية

نداء للمقاومة لا يمكن ان يصدر الا عن مقاوم أصيل اندفع بتلقائية ليعلن مقاومة الاستعمار بالعنف بعـــد أن فشلت جميع الوسائل لاقناع الاستعمار باستقلال المغرب وحريته بالمفاوضة والمفاهمة

ولم تكن مقاومة علال من النوع السلبى ، ولكنه كان مقاوما ايجابيا ، فقـــد **كان يعرف أن المقـــاومة حرب لا** تدار بالنداءات والبلاغات والاتصالات الدولية ، وانـــما

ددار بالعمل ولهذا كان عمله الاول بعـــد نداء القاهـــرة
هو تنظيم المقاومين الذين تكونوا فى بدايـــة الخمسينات
وقبل العدوان على الحزب فى ديسمبر 1952 ، تكونوا فى
خلاياه ، وتدبير السلاح والتخطيط للعمل من جهة اخرى.
سرعان ما اتصل ، مـــع الثلـــة التى كانت تعمل معه فى
القاهرة مـــع خلايا المقاومة فى المغرب . وكـــلها كانت
خلايا من حـــزب الاستقلال ان لم يكن يعرف افـــرادها
واحدا واحدا فـــقد كان يعرف تنظيماتها . واستطاع
من خلال اتصالاتـــه فى تطوان ومدريـــد أن يقنع
الاسبانيين بغض الطرف عن تحركات المقاومين وتنظيمهم
وتدريبهم والتجاء المتابعين منهـــم ، واستطاع عن طريـــق
اتصالاته بأعضاء الحزب فى فـــرنسا وبلجيكا أن يؤمـــن
السلاح الضرورى لشباب المقاومة فلم تكد تبدأ بسكين
فى يد البطل الشهيد علال بن عبد الله بعد أيـــام من نفى
محمد الخامس حتى اصبحت المـــدن المغربية ، وخاصة
الدار البيضاء ، تعـــج بالمسدسات والقنابـــل والمدافع
الرشاشة ذلك لان السلاح لم يعـــد يهرب الى المغرب
بالقطع ، ولكنه أصبح يهرب بالاحمال

ومن صفوف خلايا حزب الاستقلال ظهر آلاف الابطال
الذين كانوا يستمدون الوحى من علال والتنظيمات التى
يقوم بها ولم يكن الزرقطونى رحمـه اللـــه الا احد هؤلاء
الابطال الذيـــن ساهموا بقسط كبير فى تنظـــيم المقاومة

والقيام بها عمليا والــذين خرجوا من تنظيمات الحزب للعمل المسلح قبل أن تقدم الادارة الفرنسية على تصفية الحـــزب

ولم يقتصر عمل عـــلال على تنظيم هذه المقـــاومة الداخلية فى المدن وعلى تزويدها بالسلاح والاشراف على تدريب ابطالها وايواء من نجا منهم من المطاردة ، ولكنه اتجه الى عمل اعظم وهو تنظيم جيش التحرير فى المغرب والجزائر للقيـــام بالحرب العملية فى الجبال ضد الاحتلال الفرنسى ففى مكتب المغرب العربى اجتمع ستة اشخاص فى غرفة مقفلة اثنان من الجزائر احدهما ابن بلـــة — فيما اذكر — واثنان من المغرب هما علال الفاسى وعبد الكبير ابن المهدى الفاسى ، واثنان من ضباط المخابرات المصرية، احدهما فتحى الديب ، وتقرر أن يكون جيش تحرير يشمل المغرب والجزائر ، ويبدأ عمله فى الاوراس فى فاتح نوفمبر 1954 ثم فى بـــورد واكـــنول وتيـــزى وزو بالمغرب فى اكتوبـــر 1955

كان يعرف بحسه السيـــاسى وبشمولية تفكيـــــره وبقدرته على التخطيط أن الاستعمار لا يمكن أن يندحر فى المغرب او تونس اذا لم يهدد من الجزائر ، وأن الجزائر لا يمكن أن تتحرر اذا لـــم يتحرر المغرب وتونس ولهذا بدأت العملية فى الجزائـــر ، ولكـــن السلاح الذى دخل للجزائر جاء عن طريق المغرب فى باخرة سياحية صغيـــرة

كانت تملكها السيدة دينــا **الزوجة الاولى للملك حسين ،** وكانت قد افترقت عنه ، وحملت الباخـــرة السلاح الى الناضور ، ومن الناضور نقلـــه المقاومون عبر الحـــدود المغربية الى الجزائر قبل ان تبدأ المعركة فى الاوراس.

وبلغت المقاومة اشدهـــا فى المـــدن المغربية واخـــذ الفرنسيون يميلون الى التفاوض مع حزب الاستقلال تحت ضغط هذه المقاومة ولكن حس المقاوم عـــلال ابى الا ان يدخل جيش التحرير للمعركة حتى ينهى الاحتلال الفرنسى على يـــد المقاومة لا عن طريـــق المفاوضات السيسية وبدأ جيش التحرير عمله

ويشهد التاريخ ان عـــلال الفاسى كان ضد اى عمل لايقاف عمليات جيش التحرير **الى أن يتم الجلاء العسكرى** عن المغرب ثم كان يهدف الى **تحويل جيش التحرير للقيام** بتحرير مناطق الصحراء التى لم تشملها محادثات ايكس ليبـــان

ويشهد التاريخ انه ظل يقول حتى آخر ايامه لقد كان فى استطاعة جيش التحرير أن يكفينـــا مؤونة ضياع اجزاء من بلادنا واستمرار احتلال اجزاء منها حتى الان

ولا نكتب التاريح حتى نحلل هذه القضية التى انتهت بتصفية المقاومة التى قام بها جيش التحرير ، ولكنا فقط نرسم صورة المقاوم عـــلال فى ابعادها الحقيقية وهى وحدها تؤكد انه اكتسب زعامته بالعمل الفدائى الى جانب

العمل السياسى ، فكرته عن **ان تحرير المغرب لا يمكن ان** يكون الا بالطريقة التي احتل بها فكرة صائبة وقــد نفذها بالفعل ، فكانت المقاومة هى الوسيلة التى اسرعت بتحرير المغرب ويعود الفضل الاول فى ذلـــك الى الابطال الذين وهبـــوا حياتهم فداء لبلادهـــم ، وكان فى مقدمتهم علال الفاسى الذى طالما تعرض لاعتداءات اثيمة كـــاد يذهب ضحيتها فى القاهرة ومدريد والمغرب لانـــه اعلن المقاومة التى لا تحرير بدونها

الرسالة

كثير من الناس يعيشون ويموتون دون أن يتصرفوا في حياتهم لان الحياة تتصرف فيهم فتسير بهم حيث يدرون ولا يدرون ومن ثم تجدهم على هامش الحياة قد تسير بهم أو بدونهم دون أن تضيف شيئا او تخسر

وكثير من الناس يفرضون انفسهم على الحياة فيتصرفون في حياتهم وحياة عصرهم ويحولون مجرى التاريخ بتأثيرهم العملي

وما ذلك الا لانهم يحملون رسالة

وقد كان علال من هؤلاء الذين حملوا رسالة ضخمة منذ قال

ابعد مرور الخمس عشرة ألعب

وألهو بلذات الحياة وأطرب

ولي أمة منكودة الحظ لم تجد

سبيلا الى العيش الذي تتطلب

الى ان قال فى اخريات أيامه

ولئــن قضيت على الطريق فحبــذا
ما نلت من شرف الشهادة فى العمل
ولسوف يكمــل مــا بدأت أحبتــى
فهم الضمـــــان لكل خبــر يعتمــل

كان منذ البداية حتى النهاية يتحمل رسالة ضخمة رآها بموهبته ونظرتــه البعيدة فى أواسط العشرينــات والظلام مخيم بكثافة على هذه البلاد ، وتحملها فى شجاعة المؤمن بها المقدر لخطورتها الواثق من قدرته على تحملها المضحى فى سبيلها المخطط للقيام بها وتنفيذها

من ايمانه بهذه الرسالة وقدرته على تحملها استطاع ان يؤمن باستقلال المغرب وقدرة الشعب على استرجاع هذا الاستقــلال فليس من السهــل أن يكون انسان فى عمق المنفى بقلب افريقيا والحرب يومئذ غامــرة أطراف العالم ثم لا يجد طلبا يقدمه لضابط مناضل فى سبيــل استرجاع الامبراطورية الفرنسية الا استقلال المغرب

ومن ايمانه بهذه الرسالة بدا قبل ذلك نضاله فى كل الجبهــات التحررية الفكريــة والسياسية والاقتصادية والاجتماعيــة

ايمانه بالرسالة كان يجعله يتخطى الميدان الضيق الذى يفتــرض انه يعمل فيه كــزعيم سياسى فيوجه الشعب فى الميدان الروحى والمادى على السواء ، ويشرح

الاسلام فى الوقت الذى يتحدث فيه عن تنظيم الاقتصاد ، ويناضل من اجل الديمقراطية فى الوقت الذى يناضل مـــن اجل حماية الاسرة وتنظيم العائلة ، ويخطب فى مركـــز الحزب ومن هناك الى المسجد

عمله لم يكن يأخذ طابـــع الاختصاص السياسى أو الوطنى ، ولكنه يشمـــل العمل الثورى لتطوير المجتمع لانه لم يكن سياسيا محترفا وانما كان رجلا ذا رسالة

وهو فى رسالته لا يعترف بالحدود الضيقة للفكرة ، وانما يأخذ الفكرة فى شموليتها المطلقة الاستقلال عنده لا يعنى التحرر السياسى ولكنـــه يعنى التحرر الوطنى (بكل ابعاد الوطن) والتحرر الاجتماعى والتحرر الفكرى وكثير من قصار النظر كانوا يعتبرون هذه الشمولية نوعا من الجهد الضائع فى الميادين المختلفة ولكنـــه كان يعتبر عمله كما قلنا فى حدود الرسالة التى يتحملها ، ولا حدود لها الا فى اطار التحرر المطلق من كـــل ما يمس الاستقلال بالمعنى الحقيقى للاستقلال

وهو لا يعترف بالحدود الضيقة للوطن حتى لا تكون رسالته فى دائرة البلد الضيق **والوطن الضيق والمجموعة** الضيقة ومن ثم كانت رحلاته العديدة فى شرق البـــلاد وغربها وشمالها وجنوبها ليتحدث الى كل أصناف الناس ثم رحلاته فى كل أرض يمكن أن يرحل اليها ليبشر برسالته، حتى لا يترك هذه الرسالة مقتصرة على الاهل والاقربين

وما زار بلدا عربيا او اسلاميا أو غربيا الا كانت رسالته فى يده يبشر بها أينما حل وارتحل

الرسالة التى حملها علال هى التى جعلته يرى العمل الوطنى كلا لا يتجزأ فلا يهادن موضوعا لانه يريد أن ينجح فى موضوع بل انه ليعتبر النجاح غير نجاح ما دام لم يحقق الهدف كاملا محترفو السياسة يعتبرون عملا كهذا غير سياسى ، ولكنه كان يعتبره فى عمق الرسالة التى يحملها المثل على ذلك قريب فقد أبى فى بداية الاستقلال أن يعترف بالاستقلال الذى وعدت به فرنسا واعلنته فى اتفاقية ثانى مارس 1956 لانه كان يعتبر الاستعمار الذى تمرغ المغرب فى وحله **منذ سنة 1912** أكبر من هذا الاستقلال الذى اعترف به فى سنة 1956 ولذلك كان يطالب بجميع الاراضى المغتصبة وفى مقدمتها الصحراء

هذا نموذج من رسالته التى حملها والتى تعطى لعمله الوطنى بعده الحقيقى

وفى غمرة المعركة السياسية — مثلا — كان يشارك فى المعركة الادبية والفكرية مثلا فيسهر مع اتحاد الكتاب فى مؤتمره حتى الفجر لان عمله هذا جزء من رسالته لم يقبل ان يتخلى عن هذا الجزء من الرسالة ، لانه لا يملك أن يتخلى عن ذلك هو واجبه وهو حقه . والذى يتخلى عن الحق مستعد أن يتخلى عن الواجب ورسالته لا تبيح له

ذلـــك

كان يرحمه الله يتـــحمل أعباء الرسالة بكل شجاعة ، بل بكل اندفاع وليس مـــن التكرار فى شىء أن نعيد كلمته المشهورة لن أموت قبل أن أموت . فقد كان يعتبر التخلى عن أى جزء من رسالته نوعا من الموت . ومثل علال لا يضع خده فى التراب طلبا للموت قبل أن يغتالـــه الموت وهو فى الميـــدان

التخطيط والمسيرة

كثير هم الذين فكروا وكتبوا وناضلوا وقادوا حركات وطنية أو ايديولوجية لكن الكثيرين منهم توقفوا فى الطريق او انحرفوا عن الطريق او لم يصلوا الى هدف من الاهداف التى حملوها فى بداية عملهم . ونجد فى مقدمة هؤلاء الناجحين عــلال الفاسى

واعتقد ان السر — معظم السر — فى نجاحه هو انه خطط لعمله الفكرى والوطنى مبكرا ، واستطاع ان ينظـم مسيرته الوطنية والفكرية طوال السنين التى ناضل فيها ولعلك لو سألته وهو فى مفتتح عهده بالعمل لرسم أمامك خــط السير كما لو كــان يبنى على هدى مــن تخطيط فى المسيــرة الوطنية تحديــد الهدف منذ البدايــة الاستقلال والوحدة والديمقراطية ونجده يعمل منذ البداية لتحقيق هذا الهدف فما تغير الاتجاه وما ساوم فيه وما تخلى بل وما اصطنع أسلوب المراحل ، ولو أنه كــان يعرف أن الاستعمار الفرنسى من النوع الذى قــد يرتاح

المراحل اكثر مما يرتاح للمواجهة الصريحة ، وان بعض المتحررين من الفرنسيين كانوا على استعداد لقبول شيء غير الاستقلال ولكن وضوح خط علال كان يبعد عنه هؤلاء واولئك ، ولو أنهم اخيرا يحترمون هذا الخط ويقدرون صاحبه

فى المسيرة الفكرية نجده كذلك مخططا عظيما ، ففكره الاسلامى والفلسفى والوطنى والاقتصادى لم يكن ابن الايام والساعات والبدعات (الموضات) ولكنه كان مكرا منظما نبع عن ثقافة ودراسة وتفكير واتخاذ تخطيط واذا كان كتاب النقد الذاتى يعبر أصدق تعبير عن هذا التخطيط ، وقد كتبه منذ ربع قرن ، فان الكتاب نفسه لم يكن ابن السنة التى كتب فيها ، وانما كان نتيجة تفكير وتمثل للمشاكل المغربية والمشاكل العربية والاسلامية وللمجتمع العربى — المغرب نموذج له وصورة عنه — ونتيجة بلورة لروح الحلول التى يجب أن تكون لهذه المشاكل

الكتاب اذن تخطيط للمسيرة الشاقة التى خاضها علال — على راس حزب الاستقلال — فى الربع قرن الاخير والذين يقرأون الكتاب اليوم يدركون أن الاسس التى وضعها آنذاك ما تزال هى الاسس التى ينادى بها الحزب والتى تعتبر اكثر تقدمية من كل المذاهب والفلسفت التى تعيش واقع شعوبها ، ولا تقتبس منه

لا يصلح البلاد مقتبستيها

وهناك خيط يربط الفكر الوطنى بالفكر السياسى بالفكر الاقتصادى والاجتماعى لعـــلال وهو روح الاسلام فقد آمن بأن الاسلام عقيدة وعمل وحياة وفلسفة وحضارة وفهم الاسلام على حقيقته كما يفهمه فكر مثقف لا يعتنق الاسلام ويدافع عنه لانه دينه فحسب ، ولكن يعتنقه ويدافع عنه ويربط الحياة به لانه فى حقيقته كذلك ولهذا فالاسلام عنده يجب ان يكون المنطلق حينما ندافع عن وطننا لا نقوم بذلك لانه وطننا ولاننا وطنيون فحسب ، ولكن كذلك لتبقى هذه البلاد مسلمة حينما نصحح الاوضاع الاقتصادية نفعل ذلك لنبنى اقتصاد هذه البلاد على مثال غربى او شرقى مقلدين تقليدا اعمى، ولكن لنبنيه على مثال اسلامى، وسنجد فى الاسس الاسلامية للاقتصاد ما يجعلنا نصحح الوضع ونضمن به العدالة الإجتماعية وكرامة الانسان ونرفع من مستوى حياته دون أن نقع فى أخطاء الليبرالية الراسمالية التى جعلت المال سيد الانسان ولا فى أخطاء الشيوعيـــة التى جـــعلت الانسان آلـــة فى دولاب الدولة و المجتمـــع

الاسلام ينقذ التوجيه الاقتصادى من أخطاء الطرفين وينير الطريـــق امامنا لبناء اقتصاد عصـــرى يستند الى الاصول العادلة فى تدبير شؤون الحياة

وحينما نفكر فى شؤون الحكم أو الادارة أو مشاكـــل

المجتمع من الخلية الاولى (العائلة) حتى القرية والمدينة والوطن والاقطار الاسلامية نجد هنا كخيطا يربط هــذه المشاكل ، ويكون سبيلا الى حلها هو الاسلام

وقد قلنا فى غير هذا الحديث أن هذا الاتجاه الاسلامي عند علال ليس نابعا عن تعصب للاسلام ، ولكنه نابع عن فكر اسلامى يأخذ العقيدة والمذهب والاتجاه من الاسلام فى أبعاده الكبرى ويطبقها باجتهاد لا بتقليد واتباعية على المجتمع ، ويرى انها صالحة لتكون حلا لهذه المشاكل التى عجــزت كثير مــن الحلول التقليديـــة عن أن تصل الى نتيجـــة ما

هذا التخطيط هو الذى وجه مسيرة علال الفكرية ولذلك لا تجد تناقضا كبيرا ولا تشتيتا للجهود الفكرية حينما يعنى بقضيـــة التحرر الوطنى فى الوقت الذى يعنى فـــيه بشؤون العائلة أو حينما يعنى بجوهر التوجيه الاقتصادى حينما يعنى بأصل الشريعة او بالدفاع عنها ، او حينـــما يعـــنى باسترجاع الصحراء فى الوقت الذى يعنى فــده بمسلمى الفلبين هى شمولية فكرية كاملة ، ولكن هناك خيطا يربطها نابع عن فكـــره الاسلامى المتحرر ، ومعتمد على تخطيط محكم يأخذ طريقـــه فى مسيرة طويلة لا نبالغ اذا قلنا انه بدأها منذ بدأ العمل الوطنى ، وانتهى فأسلم الروح وهو ما يزال يسير

ثائرلا اتباعي

حينما يعيش الفكر المتحرر بين مختلف القيود التى تمنع هذا التحرر عن الانطلاق تنبت اصول الثورة الفكرية فى هذا الفكر لاجتثاث القيود المانعة والانطلاق فى عالم الحرية عالم الابداع والانتاج والانجاز

وقد كان علال ثائرين لا ثائرا واحدا

ذلك لانه رجل فكر ورجل وطنية وسياسة وثورته فى كلا الميدانين ناشئة عن انه عاش فى عصر القيود والسدود فكريا ووطنيا **ولم تكن شخصيته ولا ذكاؤه** وطموحه وثقافته لتجعل منه مسالما للاوضاع الفكرية والسياسية الاستعمارية التى عاشت فيها بلاده ، ولذلك انتهى الى أن يكون ثائرا فى الميدانين وقد حقق من ثورته اكثر مما اراد

فى عالم الفكر وفى مجتمع المغرب وبلاد العروبة والاسلام وجد نوعا من الوثنية الفكرية ان صح التعبير

فهم مخطىء للاسلام ومجموعة من الخرافات والبدائيت تنتسب للعلم وتلتصق بالدين وجمود عند نماذج من الكتب باسم الدراسة ، وثقافة ضحلة لا تنتسب للماضى المشرق للفكر الاسلامى ، ولا تستجيب لحاجات العصر ولا ترفع مستوى الفكر ولا تفتح عيون الدارسين على حاضرهم، بل أن تفتح عيونهم على غدهم

فى وضع كهذا لا يمكن لمثقف كعلال الفاسى أن يقف، سلبيا من هذه الاوضاع وقد ضرب بنفسه المثل ففتح عينيه على كتب الثائرين فى الفكر الاسلامى من ابن خلدون وابن تيمية وابن القيم وجمال الدين ومحمد عبده وشكيب ارسلان ثم اخذ يكتب ويحاضر ويبث **الثورة الفكرية فى** تلاميذه ومريديه تماما كما فعل الثائرون الفكريون فى مختلف العصور وفى مختلف البلاد

ثم فتح نوافذ فكره على الثقافة الحديثة ، فلم يكن العلم عنده شهادة يعتبرها جواز المرور الى وظيفة او عمل ولكن العلم من ثقافة فكرية وعملية مناضلة فى سبيل الغد الانسانى الافضل وقد دفعته ثورته الا يتحرج عن دراسة الفكر الانسانى منذ كان عند اليونان أو الصينيين او الهنود ، وعند المسلمين على مدى أربعة عشر قرنا فى مختلف المراحل اللامعة والخابية على السواء، العملية والخيالية المنطقية والصوفية ثم وصلت به ثورته الفكرية أن يتبع مراحل التطور الفكرى الحضارى

الحديث عند الماديين والعلمانيين والمسيحيين والملحدين وعند المفكرين الوضعيين والموضوعيين

كان كل ذلك زاده فى ثورته الفكرية سواء فى فهم الاسلام على حقيقته وفى بناء المجتمع الاسلامى العربى كما يرى انه يجب أن يكون ، وفى وضع التخطيط لبناء هذا المجتمع المتحرر الثائر على كل القيود وعلى كل الاوضاع والتقاليد واذا قلنا انه وضع **اصول هذه الثورة ومبادئها** وتخطيطها فى كتابه العظيم النقد الذاتى » لن نكون مبالغين لاننا نعرف قيمة هذا الكتاب الذى هو خلاصة فكر بناء عاش الفكر والحياة التى ينتقدها والتى يريد أن يغيرها وعاش كذلك بفكره المتوقع **الحياة التى يجب أن** تكون فى بلاد تبحث عن حياة الغد

هذه الثورة الفكرية كلفته الكثير ، وليس اقل ما كلفته هذا النضال الفكرى المتواصل فى عالم الادب والفكر والعلم كاتبا ومحاضرا ومتنقلا ومصارعا وليس اقل ما كلفته أنه — باستقلاله الفكرى — نسب اليه الكفر والمروق تارة ، ونسب اليه الجمود والرجعية تارة لانه لم يكن قط الا ثائرا على الجامدين ، وثائرا على الامعات والمقلدين والاتباعيين فى كل ميدان يكتنفه الجمود أو او تغشيه الاتباعية

والثائر الثانى فى علال هو الثائر الوطنى السياسى الذى وجد بلاده منذ أن وعى فكريا — وقد وعى مبكرا — انها أصبحت مستلبة وطن محتل ممزق أجنبى يتحكم فى

مصيرها مواطن يعيش كما يعيش العبيد افتقد حريته وكرامته حكم منهار افتقد مصيره أرض مستلبة يعيش فيها الاستغلال والانتفاع والسرقة

وضع كهذا لا يمكن أن يزول عن طريق الاصلاح والتغيير التدريجى لان الذين كانوا يتحكمون فى مصير البلاد كانوا يخططون للقضاء على شخصيتها حتى تصبح الارض ملكا لهم والانسان عبدا فى خدمتهم واذلك كانت الثورة هى سبيله الى هذا التغيير

فى تاريخه الوطنى الحافل كان يعمل ليل نهار على تكوين المواطنين الثائرين وهذا هو الذى فهمه بحق المستعمرون من دراستهم لشخصية علال ، فتجسمت رغبتهم لا فى معاقبته ، لانهم كانوا يدركون أن العقاب الذى تعرض له عدة مرات لم يزده الا تشبثا بهذه الثورة ولكن فى القضاء على هذه الشخصية . ولذلك كان نغيه الى اواسط افريقيا تسع سنوات كاملات ، وكانت محاولات اغتياله المتكررة هى منطقهم العاجز لازاحة هذه الثورة التى اججها فى طريقهم

وظل علال رغم كل ذلك ثائرا حتى عاد الاستقلال السياسى عن طريق الثورة فبدأ ثورته لاستعادة الاراضى المغتصبة والحدود المقتحمة **وبثورته التى لم** تعرف مهادنة رسخ فى الفكر الوطنى المغربى النضال من أجل الوحدة كما رسخ من قبل النضال من أجل

الاستقــلال

هذا النموذج الثائر الذى يقدمه علال يسلكه فى عداد الثائرين لا فى عداد الاصلاحيين ولذلك كانت افكاره فى الدين أو العلم و الاقتصاد أو الديمقراطية أو التحرر السياسى او المحافظة على المكتسبات الوطنية أو استعادة الحقوق الانسانية للانسان المغــربى واستعادة كرامته كلها نماذج من الفكر الثورى الذى تمتع بـــه

والى هذه الثورة التى أججها فى المجتمع المغربى يعود الفضل فى تكوين الاجيال من الشباب الذين يحملون فكرا ثوريا لا اتباعيا ، فسواء الذين عايشوه أو تتلمذوا عليـــه او قراوا كتبه كلهم يعتبرونه نموذجا ثوريا فى المجتمع المغربى خصوصا ، وفى المجتمع العربى الاسلامى

والفكر الثورى فى العصر الحاضر هو الفكر الخلاق المبدع المنتج وهو الفكر الذى تبحث عنه كــل المجتمعات المتطورة حتى لا تقف الحياة عند التقليـــد أو الاتباعية الاصلاحية المتخاذلـــة

فكر متحرر تطبعه الأصالة

الاصالــة

العصرية

المعاصرة

كلمات تعرض اليوم فى تقويم المذاهب والافكار والقيم والشخصيات ، ويسرع الحذر الى المحللين وهم يفرقون بين هذه القيم ولكنهم فيما اعتقد يتناولون الموضوع من جانبه النظرى فيهيمون فى عالم المنطق الصورى فى الوقت الذى كان يجب ان يعالجــوا الموضوع بواقعية الباحث المنصف المتمتع بحاسة الفهم السليم لكل هذه النظريات

وعلال الفاسى خير من يمثل انعدام التناقض بـــين الاصالة والعصرية ثقافتـــه الاولى بدات أصيلة ، ولكنه لا يعرف الاصالة فى القـــديم او فى التراث فحسب ، وانما يعرفها فى الفكر النير الذى يأخذ من علم الاولين والاخرين ويعرض كل ما تعرف عليه من نظريات على فكره المتفتح

ليقول كلمته وليناضل فى سبيل هذه الكلمة

الدين عنده لا يتناقض مع العصرية ولكنه يخلص الدين ــ كما قلنا فى فصل سابق ــ **من كل الخرافات** والترهات وما علق به من جهل الجاهلين وضلال المضلين وبذلك فالدين عنده متفق مع الفكر العصرى ، ولا يضيق به الا فكر جاحد او متخلف

وجميع النظريات الفلسفية أو الاجتماعية او القانونية يمكن أن تجد أصولها فى التراث الاصيل وتجد بعضها فى الفكر العصرى ، ولكن الاصالة ليست فى أن تقف مع الماضى وتقف مع النظريات العصرية فحسب ، الاصالة والعصرية معا هى أن تبحث عن الهدف من الفكرة والنظرية وتستغلها لمصلحة الامة كلما كانت صالحة ، وتنبذها كلما كانت غير صالحة ، دون **أن تكون متأثرة بكلمة اصالة او** بكلمة عصرية

الاصالة كانت طابع فكر علال الفاسى

ولكن الاصالة تعنى عنده الفهم الصحيح للمشكل واخذ الصالح من الحلول مهما يكن مصدرها

اصالته فى انه عالم لا تخضعه الافكار المسبقة ، ولا تفرض عليه النظرية او الاتجاه أو السلوك

واصالته فى أنه يناضل لا ليحقق نظرية قال بها الاخرون ولكن ليحقق نظرية اهتدى اليها بنفسه ولو رفضها جميع الاولين والاخيرين

مــن هنا كان يجتهد مثــلا فى الفقه ــ وفروعه على الاخص ــ فلا يأخذ بأية نظرية لم يقتنع بها ، **ولو أنه مالكى** قوام ثقافته الفقهية نظريات الامام مالك

وكان يجتهد فى الاقتصاد فيعرض نظريات الراسماليين الليبراليين والاشتراكيين بكل طبقاتهم والشيوعيين ، بعد أن يدرس كل النظريات الاقتصادية فى الاسلام ويختر عن طريق الاجتهاد احسن النظريات التى اهتدى الى صلاحها وقد تجده فى جزء منها اسلاميا صرفــا ، وفى جزء منــها اشتراكيا أو ليبراليا ، ولكنــه يهتدى بالاصل الذى خططه لنفسه وهو مصلحة الانسان ، **ومن كل ذلك تعرف أصالة فكــره**

وكان يجتهد فى السياسة فــلا تفرض عليه الظروف موقفا معينا وانما يعرض كل الظروف وكل المواقف على المصلحة الشعبية كما يراها ويهــتدى الى الحل بفطرته الاصيلة ثم يناضل فى سبيل تنفيذ هذا الحل

قل مثل ذلك فى كل الميادين التى عمل فيها تجده فيها اصيلا ، وليس عالة على قديم ولا على جديد ، وانما هو يمثل نفسه بكل ما يملك من قدرة على التفكير والاستيعاب والمقارنة والفهم والابتكار

هل يناقض فكر علال العصرية ؟

هذا هو السؤال الــذى يطرحه الكثيرون الــذين لا يعرفون شخصية علال الفاسى ، أو الذين لم يقرأوا لــه

كثيرا او الذين يرونه يتحدث فى شؤون القرآن والحديث والفقه والفكر الاسلامى

واذا كان احسن جواب هو أن نرشد هؤلاء الى قراءة كتب علال الفاسى ومحاضراته ودروسه القرآنية ابتداء من كتبه الدينية او الفقهية كدفاع عن الشريعة حتى كتابه الفكرى العظيم كالنقد الذاتى ، فاننا مع ذلك نقول لهؤلاء ان العصرية والاصالة — ولو فى أبسط معانيها — تتلاقيان فى فكر علال الاصالة هى أن تكون جادا فيما تفكر فيه وما تعمله وما تبتكره ، والا تكون عالة على الغير ولو كان هذا الغير أقدم القدماء او أحدث المحدثين

لهذا كان علال لا يضيق بأية فكرة جديدة ، ولا يرفض قراءة اى كتاب جديد بل ولا يستنكف عن أن يناقش اى كاتب ولو كان من الذين يهرفون بما لا يعرفون

مكتبة علال صورة من فكره

وهى وحدها تنبئك عن معنى الاصالة ومعنى العصرية عند علال الفاسى ، وكم كان يطرب للفكرة الجيدة والكتاب الجيد ولو لم يتفق مع صاحبه فى أغلب ما كتب وفكر ، وكم كان يضيق بالفكرة المجوجة المكرورة ولو كانت تتفق مع أفكاره

يمكن ان أقول انه أكبر عصرى يعرف القديم ويقرأ كتب القدماء وأكبر قديم يعرف الجديد ويقرا كتب المحدثين ومن ذلك أعتبره أكبر **أصيل عصرى أنتجه الوطن** العربى والاسلامى

شجاعة
في التفكير وفي كلمة الحق

كان فكر علال الفاسي يطبعه أول ما يطبعه الشمولية في الفكـــر

وكانت البداية التي يعرف بها الفكر المناضل الملتـــزم الشمولية الفكرية وما اشك فى ان هذا الاتجاه مستمد من شخصيته التى كانت تطبعها الشمولية بكل آفاقها الواسعة. وما كان لشخصيته أن تبرز فى **شموليتها لولا الشجاعة التى** كان يتحلى بها

شجاعة فى التفكير وشجاعة فى العقل ، وشجاعة فى ارتياد الآفاق وشجاعة فى اعلان ما يؤمن به من كلمة الحـــق

كانت ثقافته فى بدايتها ثقافـــة اسلامية لكنه كان اشجع فكريا من أن يقتصر على ما درس وما اهله تعليمه الاولى له لهذا أخذ يتحرر من التعليم الجامد فيرتاد كـــل الآفاق الاسلاميـــة من الفلسفة والتصوف حتى الفـــقه

والاصول وعلوم الحديث والقرآن ولكـــن معرفته اخذت تتسع بارتياد الآفاق التى لم يكن المثقفون من جيله يرتادونها فقرا فى كل ميدان فـــكرى وكون آراء خاصة لم تكـــن تنقصه الشجاعة ليدلى بهـــا ولو خالف معظم الذيـــن درسوا او كتبوا فى الثقافة الاسلاميه

والذين حضروا محاضراته او قرأوا كتبه لم يكونو يعجبون لسعة اطلاعه فحسب ولكنهم كانوا يعجبـــون كذلك لشجاعته فى التفكير وشجاعته فى اعلان ما يتوصل اليه من آراء وافكـــار

مثل هذه الشجاعة كانت رائده فى الدراسات التى كان يقوم بها ، والتى كان يعتبرها البعض وقفا على ذوى الاختصاص ويكفى أن تقف أمامه وهو يفسر القرآن مثلا فى حديث دينى لتجده يحلل آخـــر النظريات الفلسفية او الاقتصادية او الاجتماعية عنـــد المفكرين من كل اتجـــاه ويعرضها على الفكر القرآنى فيقبل منها ما يقبل ويرفض ما يرفض ويستخرج رايه الخـــاص يكون كلمة الفصل فى موضوع لا يتهيبه كثير من العلماء فحسب ، ولكنهم لا يستطيعون مواجهته ان لم ينقصهم العلم فى ذلك فقـــد تنقصهم الشجاعة

من شجاعته الفكرية كان يستمد شجاعته فى أعلان كلمة الحق التى يومن بها ولو تفرد بهذا الايمان ومن ثـــم كانت كثير من متاعبه سواء قبـــل الاستقلال او بعد

الاستقلال ومن ثم كانت المواقف التى عرف بها والتى لم يكن يقبل التنازل عنها لان له من الشجاعة ما كان يجعله يقف عندها فى صلابة وجرأة

لقد طبع علال حزب الاستقلال بهذه الشجاعة فى الاعلان عن مبادئه والوقوف عندها نستطيع أن نعود الى جزئيات الماضى منذ بدايات الحركة الوطنية لو كان الوقت يتسع ، ولكنا فقط نريد أن نسجل ان شجاعة علال كانت تسير به الى التفكير فى الاصطدام مع الحكم الاستعمارى حتى فى كثير من الاوقات التى يكون رأى زملائه فى الحزب متجها الى أن الاصطدام قد يكون فى غير صالح الحركة لانه كان يعتقد أن اصطدام الشعب بالادارة الاستعماريه احراج للحكم وخلق لمشكلة على الحكم أن يفكر فى حلها ولن يكون الحل الا عن طريق التنازل فى النهاية

وقد أنقذت شجاعته الحزب فى كثير من المناسبات 36 و 37 و 51 و 53 و 59 وغيرها من المواقف كثير

واتخذ الكثير من المواقف السياسية التى كان يواجه فيها اجماعا أو شبه اجماع وما موقفه من قضايا الصحراء التى كان له الفضل فى ايقاظ الوعى بها ، وما هذا الموقف الذى صاحبه حتى آخر رمق من حياته عنا ببعيد

وتجلت الشجاعة فى مواقفه ومعاركه الضارية التى خاضها من أجل القيم الكبرى للبلاد الاسلام ، اللغة

العربيــة الديمقراطية الاستفتــاء فى الدساتيــر ،
احترام مكتسبات البلاد فى القضاء ، فى الحريات العامة
فى كرامة المواطن فى القضاء على رواسب الاستعمار
فى مواجهة السلطة

واكثر مــا كانت تتجلى شجاعته وهو يقنع بفكــرة
ارتآها ووجد الاجماع ــ مثــلا ــ ضدها كان لا يعلن
فكرته حتى يؤمن بها بعد أن تختمر فى نفسه ، وحينمــا
يعلنها يستمع ــ بشجاعة نفسية ــ الى كل الاعتراضات،
ولكنه بعــد ذلك يأخــذ فى الاقــناع ، وهو يؤمن بأنــه
سينتصر كثيرا ما كان يحقق الهدف نحن زملاءه فى اللجنة
التنفيذية للحزب وتلاميذه فى التفكير والعمل نعترض
ونناقش ونعلن عدم الموافقة ولكنه لا ييأس فاذا وصل
معنا الى اقناع فتلك نتيجــة من نتائج شجاعته الفكرية
وان كانت الاخرى اعلن لنــا فى شجاعة ايضا انه غــير
موافق ولكنه معنا لانه ديمقراطى بطبعه ولا يملك الا
ان يكون مع الاغلبية

لم يكن شىء ، مهما عظم ، يقف فى طريقه وهو يفكر
او يعمل ذلك لانه يعرف الهــزيمة فى افكاره وعمله
ومن الصعب بأن تقنعه بأن عملا مــا قد يكون صعبا أو
مستحيل التحقق ذلك لانه يتسلح بكل شجاعته ليتحمل
مسؤولية انجاح العمل والنجاح عنده هو العمل نفسه .
وما شىء يضيع ولو بدا انه غير ناجح

لقد علم تلاميذه كرائد مفكـــر أن يكونوا شجعانا فى معالجة المشاكل ، وفى ارتياد آفاقها ولم تكن دروسه فى هذه الشجاعة نظرية بقدر ما كانت عملية

يرحمه الله فقد كان دائما يعطى من نفسه وعمـــله المثـــل

المسؤولية الفكرية والسياسية

العمــل مسؤوليــة

هكذا كان يؤكد زعيم التحرير عــلال الفاسى وهــو يفكر أو يعمل فى النطــاق العلمى أو النطــاق الوطــنى السياسى

وتأكيده يشــعر بأنه كان يقدر معنى المسؤولية ، فلا يتحمل ما يتحمل منها الا وهو عازم على الــقيام بها ، وقد وفى رحمه الله بما تحمل من مسؤوليات واداها كأحسن مــا يكــون الاداء

المسؤولية التى تتحملها ذاتيا أعظم من المسؤولية التى يحملها لك الاخرون لانها تعتمد على المبادرة والابتــكار اكثر مما تعتمد على التنفيذ

وقد كان علال مبتكــر مسؤوليات منذ أن وعى معنى المسؤولية فلم يكن ينتظر أن يكلفه الاخرون بمسؤوليه ما ، ولكنه كان يحس بهذه المسؤولية ويقدرها وينيط نفسه بتنفيذها

شيئان اثنان أمليا على علال مسؤولياته هما وطنه وفكــره .

المسؤولية التى تحملها نحو وطنه كانت اعظم مسؤولية يمكن ان يتحملها زعيم فى مثل الظروف التى عاشها المغرب فى نهاية العشرينات ثم الثلاثينات حتى اوفى متحملا هذه المسؤولية خمسين سنة او تقاربها فى ظروف كان فيها الاستعمار متنمرا ، وكان المد الاستعمارى طاغيا ، ومع ذلك تحمل مسؤولية قيادة الحركة الوطنية فى الاتجاه الاستقلالى وهو يعرف المصير الذى ينتظر هذه القيادة

كانت مسؤولية ذات وجهين اولهما تعبئة الشعب للقيام بواجبه فى الانطلاقة الوطنية وليس من السهل تعبئة الشعب فى الظروف التى كانت فيها روح الهزيمة تسيطر على الشعب المغربى بعد الاحتلال وانهيار الدولة وغلبة المقاومة المسلحة التى شنها ابطال التحرير فى الجبال على امرها

ما من شك فى ان الشعب ظل ناقما على الاستعمار كارها له متطلعا الى اليوم الذى يمكن ان يتخلص منه ولكن المسؤولية تأتى فى اقتلاع جذور روح الهزيمة من نفوس المواطنين ، وفى اقتلاع جذور الخوف من نفوس شعب المغرب الخوف من البطش والعذاب والمحنة ، وما من شك فى أن الدرس الذى قدمته النخبة الوطنية بنفسها حينما تعرضت للاعتقال والسجن والعذاب والجلد والنفى كان دافعا قويا لمجموع أفراد الشعب على أن يستهينوا بكل تضحية ولو بلغت حد الاستشهاد فى سبيل تحرير البلاد واستقلالها

وقد تحمل علال مسؤوليته كاملة فى هذا الاتجاه ويكفى انه صرف جزءا مهما من حياته فى السجون والمعتقلات والمنافى والبعد عن وطنه وعائلته لندرك أنه قدر المسؤولية وقام بها

وثانى الوجهين مسؤولية مواجهة الاستعمار بحسب ما تمليه الظروف والملابسات الداخلية والدولية وقد قام علال فى هذا السبيل ــ بالاضافة الى تجنيد الراى العام الوطنى وتنظيم الحزب وتوجيهه ــ بمسؤولية مهاجمة الاستعمار من الخارج كانت رحلاته فى المشرق العربى عملا مهما لاستقطاب البلاد العربية وحكوماتها ضد الاستعمار الفرنسى ، فى الوقت الذى كانت فرنسا فيه تتمتع بسمعة ثقافية وحضارية مهمة فى هذه البلاد وكانت رحلاته الطويلة فى مختلف أنحاء آسيا واوربا وأمريكا اللاتينية لاستنفار الشعوب والحكومات لصالح القضية المغربية ضدا على السياسة الفرنسية من أهم جوانب المسؤولية التى تحملها

ثم تحمل مسؤوليته فى مغرب ما بعد الاستقلال وما زلنا نذكر قيادته الرشيدة للحزب فى طريق الكفاح لصالح الديمقراطية والتعادلية الاقتصادية والاجتماعية ، ودفاعه عن المواطن المغربى ونضاله فى سبيل الاصلاح الزراعى على اساس الارض لمن يحرثها وفى سبيل تصحيح المفاهيم فى التعليم والعدل والقانون والحكم الخ

لم تكن مسؤوليته فى هذا الميدان مسؤولية السياسى

العادى الذى يتخذ المبادرة فينفذ ان كان فى الحكم ويوجه ان كان فى المعارضة ولكنها كانت مسؤولية الوطنى الذى تنبع المبادرة من ضمير الوطنى اكثر مما تبدر من الحاجة السياسية وكانت مسؤوليته تتحلى بالشجاعة والجراءة وكلمة الحق يقولها فى أدق الظروف واحرجها ولكنه يعتبرها مسؤوليته لا يتخذها بصفته سياسيا او رجل معارضة ولكن يتخذها باسم الزعامة التى اعترف له بها الشعب والتى يتطلب الشعب أن ينخذها والا كان متخليا عن هذه المسؤولية

وذلك مالم يكن يستطعه علال الفاسى

المسؤولية الفكرية لم تكن تقل عن المسؤولية السياسية والوطنية عند علال بل انه كان يعتبر الفكر فى خدمة الوطن والمواطنين ولذلك لم يكن العلم عنده تجريديا لم يكن ادبيا لانه فقط يريد ان يكون شاعرا او كاتبا ولم يكن مجتهدا فى علوم الاسلام لانه يريد أن يكون عالما ولم يكن يدرس الفكر الفلسفى او السياسى او الاجتماعى أو الاقتصادى ويبتكر النظريات ليكون عالم سياسة أو اجتماع أو اقتصاد فلسفة ولكنه كان يتحمل هذه المسؤولية الفكرية لانه كان يجندها لصالح مواطنيه وبلده ولصالح العالم العربى والاسلامى الذى كان يعتبره وطنه الحقيقى

العلم والادب والفكر فى خدمة المجتمع هذه هى المسؤولية التى تحملها ولذلك كان ينعى على الذين

يعيشون فى المجردات والخيالات والمناقشات البزنطية ، والذين يتركون صورا من مجتمعهم تبعث على التحليل الفلسفى او الاجتماعى أو السياسى أو الوصف الادبى ويلجأون الى صور غارقة فى التجريد او مناقشة بعيدة عن الواقع وان أرضت المنطق الصورى واجترار الاراء والنظريات

من هذا الجانب الفكرى ومن الجانب السياسى معا اخذ علال معنى المسؤلية وتحملها بالراى والعمل وهى التى منحته الزعامة الفكرية والسياسية فى العالم العربى والاسلامى

ادراك البعد الكبير للمسؤولية الكبيرة ، وتحملها بكل شجاعة هو الذى ميز شخصية علال الفاسى والذين يبحثون الان جوانب هذه الشخصية بمناسبة وفاته سيعرفون ان سر شخصيته هو انه ادرك مسؤوليته وتحملها بشجاعة حتى الرمق الاخير

إستقلال في الرأي

لا ادرى اذا ما كـانت هذه المقومة مـن مقومات شخصية علال الفاسى هى خاصية مشتركة بين الزعمـاء والقادة الذين قادوا بلادهم فى فترة ما من فترات حياتهم ولكنى متأكد من انها كانت مـن أكبر مقومات شخصيته اعنى بها الاستقلال فى الراى

كثير من الذين اجتمعوا مع علال الفاسى لفتـرات محدودات كانوا يعتبرونه متعصبا لرايه عنودا فى الدفاع عن وجهة نظره ، وسواء اكانت هذه النظرة توحى بالاكبار او التنقيص فانها غير صحيحة عند الذين عايشوه لامـد طويل وناقشوا معـه الكثير من الاراء ، وخـاضوا معـه المعارك التى قادها قبل الاستقلال وبعد الاستقلال

وهذا الخطأ فى تقويم الصورة يدفع بنا الى القول بان هناك فرقا كبيرا بين الاستقلال فى الراى وبين التعصب للـراى

الاستقلال فى الراى يعنى ان المفكـر يجهد نفسـه فى استخلاص راى خاص به يعتنقه بعد اجـهاد ومجاهدة ولذلك فهو لا يتخلى عنه بسهولـة الا اذا اقنعته الحجة .

وادرك ان رايا آخر اصبــح من رايه منطقيا او افيــد او اعمق ، وعند ذلك يمكنه ان يتخلى عن رايه لصالح الراى المخالف

والتعصب فى الراى وللــراى يعنى ان المفكر يتــدد وجهة نظر وقد لا تكون من مبتكراته ثم يتعصب لها فــلا يتخلى عنها ولو تبين خطأها

فرق كبير بين المفهومين ويزداد الفرق كبرا حينما يكون المستقل فى الراى يستهدف مصلحة عليا ، والمتعصب لراى لا يستهــدف الغلبة فى المناقشــة والفوز بيــن الاقران وقد كان علال من النوع الاول

وكان سبيله الى اعتناق الراى هــو الاجتهاد لقد كان من السهل ان يأخذ اية فكرة ويناقشها ليقتنع بسهولة ويسر بسلامتها أو عدم سلامتها ، ولكنه كان دائما يجهد فكره مستعينا بثقافته الواسعة وقراءته الكثيرة لكل مــا يصدر من كتب وابحاث ومقالات فى الموضوعات التى يشغل بها نفسه ، يسعفه فى ذلــك أيضا ذكاؤه واتساع افــقه وشمولية فكره والتفكير بالمثال كما كان يعبر ومن كــل ذلك تنبع الفكرة عنده فيعيشها لحظات قد تطول أياما ، ثم يفضى بها مكتوبة أو مسموعة فى مجــالسه العلمية أو السياسية او فى اجتماعــات الحزب أو فى محاضرة مــن محاضــراته

عند ذلك يعتبرها فكرة له اعتنقها عن استقلال ، لم يكــن فيها تابعا ولا مقلــدا ولا امعة وهــنا يأتى جانب

التعصب » لهذه الفكرة او على الاصح الدفاع عنها وربما بحماس فى كثير من الاحيان

اكثر ما كان يقرا كتب ذوى الراى المستقل واكثر ما كان يجادل عن الافكار التى برزت عن استقلال ولذلك كان احب اليه من العلماء المجتهدون مالك والشافعى وابن حزم وابن تيمية والافغانى وعبده وكان احب اليه من السياسيين المجتهدون مصطفى كامل ، غاندى وكان احب اليه من الكتاب المحدثين المجتهدون والمستقلون فى الراى العقاد ، سيد قطب وكان احب اليه من المفكرين المحدثين حتى من خصوم مذهبه كارودى فى كتبه الاخيرة

هذه امثلة ممن كان يعتبرهم مجتهدين اصابوا فى رايهم او اخطأوا ، اتجهوا اتجاها كان يريده ام اتجاها غير ما يريده ، ولكنه كان يقدرهم ويحترم رأيهم لانه صادر عن استقلال

ونحن الذين عايشناه فى العمل الفكرى والسياسى كنا نحس بأنه من الصعب ان يتخلى عن رأيه ، ولكنا كنا ندرك انه لم يتخذ هذا الراى بارتجال وعجلة ، فبالاضافة الى تجاربه كانت تؤرقه المشكلة وهو يبحث لها عن حل فاذا وجده كان من الصعب علينا ان نثنيه عنه ، لان الكثير منا كانوا ينامون ملء اجفانهم فى الوقت الذى كان هو يسهر الليالى الطوال وهو يفكر فى الموضوع الذى يعترض طريقه وسرعان ما كنا ندرك بأنه لم يكن متعصبا لرايه ،

ولكنه كان يدافع باقتناع عن راى اعتنقه باستقلال

ولكنه الى جانب ذلك كثيرا ما كان يتنازل حينما يدرك ان مجادله يصدر عن استقلال فى الراى بذل جهدا كبيرا فى تكوينه والاقتناع به انه يصبح مدافع عنه ويعتبر اقتناعه به والدفاع عنه نوعا من الاستقلال

وهذا هو الفارق الكبير بين الاستقلال فى الرأى والتعصب للرأى

ويظهر ذلك للذين لم يعايشوه شخصيا مفكرا وسياسيا ، يظهر ذلك فى كتبه الكثيرة التى يناقش فيها آراء الاخرين وحينما يقتنع برأى لكاتب من ذوى الاستقلال فى الراى يقف وقفة طويلة الدفاع عنه لانه يحترم الرأى كما قلنا حينما يصدر عن استقلال

كان علال يرحمه الله مدرسة فى التفكير واستقلال الراى عنده مظهر كبير من مظاهر منهجية فى التفكيروالعمل والتنفيذ

كرامة المواطن كرامة الوطن

زعامة علال تظهر فى كثير من مواهبه ونضاله وأعماله وتفكيره وكتابته ، ولكنها تظهر أكثر ما تظهر فى التصاقه بالشعب وحبه لابناء قومه ورعايته لكل فرد منهم فلاح او عامل او صانع او طالب او تاجر او عاطل

وقد كون علال من خلال تجاربه النضالية التى استمرت خمسين عاما ، فلسفة تبلورت فى كل أعماله ولكنها تعود جميعها الى كرامة الانسان ، فمن اجل كرامة الانسان كان علال وطنيا ومن اجل هذه الكرامة ناضل حتى النفس الاخير ، ومن اجل هذه الكرامة تعمق فى دراسة كل علم يستطيع ان يحقق من خلاله كرامة الانسان

الوطنية لم تكن هدفا عنده ولكنها كانت وسيلة

والاستقلال لم يكن هدفا ولكنه كان وسيلة

والبناء الاقتصادى والاجتماعى لم يكن هدفا ، ولكن

كان وسيلة

الهدف الحقيقي هو كرامة الانسان

وحينما يناضل من اجل تحرير **الارض من المعمرين** انما يقصد بذلك ان يحرر انسان الارض من العبودية للمعمر الاجنبى وحينما يناضل من اجل الارض لمن يحرثها انما يناضل من اجل تحرير انسان الارض من سيطرة الاقطاعى الذى يستعبد كرامة الانسان ، وحينما يناضل من اجـل تكوين النقبة ــ وقد اقترن نضالـه النقابى بالصيحات الوطنية الاولى ــ انما كان يناضل من اجل تحرير كرامـة المواطن المغربى من ان تدوسـها الراسمالية المتحكمة فى المعامل والمصانع وحينما كان يناضل ضد طغيان الـولاة من مقيمين عامين ومراقبين مدنيين وبشوات وقواد ، انما كان يناضل من اجل كرامـة الانسان الذى كان يحكـمه هؤلاء وحينما كان يناضل ضد الضرب فى حملته المشهورة سنة 1959 ، انما كان يناضل من اجـل كرامة الانسان الذى كن يصفع لان صاحب السلطة كان يحتقر الانسان فيصفعه وحينما كان يناضل من أجـل القانون والعدالة انما كان يناضل من اجل كرامة الانسان التى كانت تهان بالظلم وتهان بتجاوز الحق فى استعمال السلطة وحينما كان يناضل من اجل **الحرية بالممارسة والكتابة والتفكير** كان يريد ان يحقق للانسان المغربى اقدس شىء يميزه عن الحيوان وهى حركيته التى تمثل كرامته وحينما كـان

يناضل من اجل الانسية المغربية العربية الاسلامية انما
كان يناضل من اجل ان يحرر كرامة الانسان من التبعية
والتبعية نوع من العبودية او هى العبودية فى اجلى صورها
وحينما كان يناضل من اجل حقوق المراة وفى بداية الثلاثينات
قال شعرا يطالب فيه للمرأة **بحقوقها الكاملة ، كان يناضل**
من اجل كرامة نصف الشعب من ان يدوسها النصف
الآخر

من هذه التجارب النضالية استقى علال فلسفته فى
مسيرته الفكرية والعلمية فقد كان لا يفكر فى الاقتصاد
— وقد كتب عنه الكثير وابتكر فلسفة اقتصادية مميزة —
لا يفكر فى الاقتصاد من اجل خلق مذهب اقتصادى او
فلسفة اقتصادية ولكن من اجل ان يحقق للانسان كرامته
التى تضيع بين الفقر والراسمالية والاحتكار والاستغلال
وعبادة المال ولم يكن يفكر **فى التعليم من اجل انماء التفكير**
البداغوجى او تنظيم المدرسة او الجامعة ، ولكن من اجل
أن يرفع كرامة الانسان بالعلم ، ولم يكن يفكر فى السياسة
او النقابة من اجل أن يكون سياسيا أو نقابيا محترفا
او ان يكون سياسيين ونقابيين محترفين ، ولكن من أجل
أن يستعيد للانسان كرامته التى لا يحققها الا بالنضال
السياسى والنقابى ، ولم يكن يقول الشعر — مثلا — من
اجل الهدف البلاغى او الفنى ولكن من أجل أن يرفع كرامة
الانسان فى أولاد خليفة — مثلا — أو يثور فى وجه العهارة

الفكرية ، او يثير انسنية الانسان من أجل العدوان على كرامة الانسان فى فلسطين

من هنا يتبين ن عــلال الفاسى لم يبن زعامته على نضال من اجل النضال او عــلى الاحتراف السياسى ولكن على الالتصاق بالمواطن والتفكيــر فيه والنضال معه وبه من أجل كرامته

وليس من السهل أن يحقق انسان زعامة من نــوع الزعمة التى حققها علال اذا لم يلتصق بمواطنيه مفكــرا ومناضلا ومعايشا وخدوما

ابحثوا فى مسيرة علال طوال خمسين عاما فستجدون أن حداءه كان كرامة الانسان

الديمقراطية السياسية وسيلة

الفترة التى ابتدأ فيها علال حياته السياسية لم يكن المغرب فيها منظما سياسيا بحيث ينمو فيه الوعى بالديمقراطية ولكن افق علال كان أوسع من ان يقف عند حدود المغرب . وكما كان يعيش مع المشرق العربى فى نضاله الوطنى للتحرر من نير الاستعمار كان يعيش معه فى نضاله لتنظيم الحكم تنظيما ديمقراطيا وكما كان يعرف الكثير عن عرقلة الاستعمار للحركة الوطنية فى مصر وسوريا والعراق مثلا حتى لاتحقق الهدف الاساس وهو الاستقلال. كان يعرف الكثير عن عرقلة الاستعمار **لهذه الحركة حتى** لا تساهم فى بناء الحكم على اسس **ديمقراطية . ولذلك كان** يعيش بفكره مع المشرق العربى فى حركته الاستقلالية وحركته الدستورية على السواء

وكان الى جانب ذلك يعيش مع الفكر العربى فى التطور

الديمقراطى وكان لهذا التطور ــ وخاصة فى فرنسا ــ أثره فى الحكم الاستعمارى بالمغرب الحكم الاستعمارى يشتد وبعنف كلما كان اليمينيون المتطرفون والاستعماريون وأصحاب المصالح فى الحكم . ويلين الحكم ولو ظاهريا ولفترة محدودة حينما يكون اليساريون وبعض الذين يرفعون شعارات التحرر فى الحكم

وقبل هذا وذاك كان بنفاذ بصيرته فى دراسة تاريخ الاسلام وتاريخ المغرب ينفذ الى حقيقة الاتجاه الاسلامى فى الحكم كما اسس فى عهد النبى وخلفائه على مبدا الشورى ، ويعرف ان المسلمين والعرب قد سقطوا فى الدكتاتورية الدامية منذ ابتعدوا عن هذا المبدا الديمقراطى

وهذا المثل الاسلامى هو الذى حبب اليه الديمقراطية فى الحكم على نمط الشورى الاسلامية التى تضمن تعبير الكل عن رايه ومساهمة الجميع فى تسيير الشؤون العامة فى مختلف الدرجات الى أن تصل الى الحكم

من هذه المصادر جميعها ، ومن ايمانه **بالمواطن، ومن** ايمانه بحقوق الفرد التى تؤكد حقوق المجموع ، ومن ايمانه بالحرية أصبح مؤمنا بالديمقراطية فى تسيير الحزب ، ولذلك كان حريصا على تنظيمات الحزب وعلى السلم المتحرك فى الحزب الذى يبدا بالخلية وينتهى بالمؤتمر العام

الديمقراطية فى الحكم هى التى ينظمها ابناء الوطن بانفسهم ، ولذلك كان يعتبر أكبر خطر على المفهوم الحقيقى

لنديمقراطية هى التنظيمات التى يصنعها الاجانب للبلاد بدعوى مساعدتهم على تنظيم الحكم فيخلقون المجالس المصطنعة والزعامات القبلية **والطائفية والمصلحية، وبذلك** ينسفون ديمقراطية الحكم من حيث يزعمون أنهم يساعدون على تنظيمه

ومنذ استقل المغرب وهو يدعو الى التنظيم الديمقراطى فيما يكتب ويخطب ويقدم من مذكرات وكان يرى ان الديمقراطية يجب ان تنبع من القاعدة ، وان تكون على اسس دستورية يهم فيها تنظيم الحكم ومشاركة الشعب ومراقبته ، ولكن الذى يهم أكثر هو ضمان الحقوق الانسانية والحريات العامة لكل مواطن

وقد شارك فى كل المحاولات لدمقرطة المغرب ، فكان عضوا رئيسيا فى مجلس الدستور لوضع دستور للمغرب فى أوائل الستينات وانتخب رئيسا **له ، ولكن المجلس نوم** فاستغنى عما كان يراد منه من وضع الدستور وقدم مشروع القانون الاساسى الذى كان يعتبره خطوة فى طريق الديمقراطية وصدر هذا القانون بالفعل وشارك فى وضع الاسس الاولى لدستور سنة 1962 ودعا الى التصويت عليه لانه كان يعتبره الخطوة الاولى فى التنظيم الديمقراطى ، والعبرة بالمجالس التى ستطبقه

وشارك فى انتخابات 1963 وكان قطب الرحى فى مجلس النواب الذى انبثق عن هذه الانتخابات ، فقدم ضمن

الفريق الاستقلالى للتعادلية والمشروعية كثيرا من مشاريع القوانين ابرزها تعريب القضاء ومغربته الذى اقره المجلس ونفذ ، والاصـــلاح الزراعى وقدم توجيهات مهمة عـــند دراسة التخطيط ودراسة الميزانيتين اللـــتين صدرتا عن المجـــلس

وتزعـــم معارضة الدستـــور الثانى والانتخابات التى جرت بعد ذلك ايمانـــا منه بأن الديمقراطية اما أن تكـــون سليمة او لا تكون

سجل النضال فى سبيل الديمقراطية حافل بما قـــدمه فيه علال الفاسى من جهود فكرية وعملية . **فقد كتب الكثير** وحاضر وخطب فى المهرجانات وخاض المعركة كمناضل عادى فى حزب فعـــال

ولكنه لم يكن يعتبر الديمقراطية هدفـــا ، وانما كان يعتبرها وسيلة للعمل فى سبيل بناء البلاد . فهو يعتبـــر أن مجلس الامة المنتخب انتخابا حرا نزيهـــا يمكنه أن يعايش الشعب ويصدر من المشاريع ما يمكن به بناء البلاد وتخطى العقبات التى تقف فى طريقها

ووجـــه من الصحراء او من اعالى الجبـــل او من المناطق « غير النافعة فى مجلس للامة يمكن أن يوحى عنده بالكثير مما يعمل لصالح هذه المناطق

ومن اجل ذلك لم تكن الديمقراطية صورة » حكم ولكنها حقيقة حكـــم ثم هى وسيلة للنقاش والبحث عن

الاصلح ، وبما انه كان يؤمن بالحرية فان النقاش البنـــاء ثمرة لهذه الحرية ومجاله مجلس الامة

الديمقراطية وسيلـــة للبنـــاء ، ولكن البنـــاء هـــو الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية

التعادلية

رحـــم الله الرئيس عــــلال فقد كان يفرق دائما بيــــن الوسيلة والغاية كانت الغاية هى الهدف ويستطيع ن يصل اليـــها من اقرب طريق ولذلـــك كانت الديمقراطية السياسية لا تعنى عنده هدفا مفردا مركـــزا ، بمقدار مـ يعنى الهـــدف الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية هذا منطق تفكيره قبل ان يكتب النقــــد الذاتى » وهذا هو الاتجاه الــــذى اتجهه وهو يـــدرس المشاكل السيـــاسية والفكريـــة والاقتصادية والاجتماعـــية التى كتب عنـــها النـــقد الذاتى »

دون أن نتتبع تفكير زعيـــم التحرير فى مختلف المراحل التى ناضل فيهـــا من اجل الديمقراطية ننتقل سريعا الى مرحلة الدستور الاول لنقول انه ليس من الصدفة فى شىء ان يتم الاستفتاء على الدستور الذى ناضل الرئيس علال فى انجازه فى 7 ديسمبـــر 1962 ولم يكد يمر شـهر حتى قدم حزب الاستقلال الى جلالة الملك وثيقة التعادلية الاقتصادية

والاجتماعية فى 11 يناير 1963

هذا التتابع فى تاريخى الحدثين المهمين يعنى أن الديمقراطية السياسية التى سهم الحزب فى صنعها وناضل لانجاح الدستور الذى يؤطرها لن تكون كاملة الا بالديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية التى اطرها الرئيس علال فى كلمة التعادلية الوسيلة اذن هى الدستور الذى ينظم المؤسسة الوطنية » البرلمان والغاية هى التعادلية

ماذا تعنى التعادلية ؟

لقد اغنى زعيم التحرير رحمه الله الفكر التعادلى بما كتب وخطب ولا يمكن أن نفهم التعاداية الا بالرجوع الى كل ما كتب فى الموضوع ، ولكى نلخص الفكرة فيها يمكن ان نقول ان التعادلية تعنى تمكين المواطنين جميع من الفرص المتكافئة فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى حتى نخلق مجتمعا متعادلا لا تطغى فيه **طبقة على طبقة ولا يحرم** فيه فرد من حقوقه الكاملة فى الحياة الكريمة وهذا يعنى أن وسائل الحياة يجب أن تكون فى يد المواطنين بالتساوى المتعادل

التعادلية لا تلغى الملكية للمال والعقار ووسائل العمل لان الملكية حق طبيعى ، وبذلك تختلف عن الشيوعية ولا تلغى العمل الفردى للكسب ولكنها لكى تحقق تعادلا فى المجتمع تمنع احتكار المال أو استغلاله عن طريق الربا والمضاربات غير المشروعة وتمنع كسب الارض واحتكارها

الا على الذين يزرعونها ويستغلونها لصالح الشعب وتمنع احتكار المعامل ، بل تفرض مشـركة العمال واعتبار العمل جزء من راس المال وتمنع اتاحة الفرص **لفئة معينة لانها** تملك المـال أو السلطة ، فى الوقت الذى تحرم من هـذه الفرص طبقة اخرى

واذن فهى توجب توزيـع الثروة وتوزيـع مردود النشاط الاقتصادى على المواطنين ولا تضع هذه الثـروة ومردود النشاط فى يد الدولة ليصبح المواطنون الذين هـم الملاك الاصليون لثروه البلاد ونشاطها **مجرد عـاملين أو** موظفين ينتجون لياكلوا فقط ان وجدوا ما ياكلون

وعلى ذلك فأهداف التعادليـة الاساس هى التحرر الاقتصادى حتى لا يبقى الاقتصاد فى يد الاجانب أو خلـفاء الاجانب ثم العمل للخروج بالبلاد من التخلف ، وتعبئـة المواطنين لمشـركة فى هذا العمل الذى هو مهم ويعود نفعه عليهم ثـم تحقيق العداله الاجتماعية فى العمـل والكسب والتعليم والسكنى والصحة

وعمل كـهذا يتطلب جهودا من الدولة وجهـودا من المواطنين جهود الدولة تتلخـص فى السيطرة على الموارد الاساسية للبلاد كالمعادن والبنوك والشركات الكبرى التى تستثمر المصالح العمومية ثم القيام **بدورها التنظيمى فى** توزيع موارد الثروة الضرورية كالارض والقطاعات المغربية والتجاره الخارجية والصناعات الاساس التى تمكن مـن

الاستغناء الذاتى

اما جهود المواطنين فتتلخص فى العمـــل الفردى الذى يساهم به المواطن والتعاونيات والشركات الشعبية (غير الاحتكارية) فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية

التعادلية اذن قائمة على أساس احترام كرامة الفرد وجهوده وعمله ، واعتبار ان النفع الاساس يجب أن يعود على الفرد وعلى المجتمـــع من خلال الفرد وقائـــمة على اسس الاستقلال الاقتصادى بحيث تمنع التدخل الاجنبى فى العمل الاقتصادى والاجتماعى وقائـــمة على اساس اعتبار راس المـــال وسيلة وليست غايـــة تستعبد الفرد والمجتمع على السواء

وهى تستهدف تجنيـــد الشعب كل الشعب لصالـــح المجموع ، وبذلك تتجنب صراع الطبقات الذى يقيم المجتمع على أساس الاحقاد والحرب النفسية التى تفضى لا محالة الى حرب عملية ان لم تقم بها طبقة ضـــد طبقة ، فالدولة تقوم بها ضد طبقات المجتمع التى تخلقـــها باعتبارها وكيلة عن طبقة معينة وهى بالطبـــع تحترم الدين وتعتز بـــه وتأخذ منه الاسس الضرورية لتنظيم المجتمع المتعادل وهى تومن بالعمل الجماعى فى اطار وحدة مجموعة من الاقطار المشبهة المتعادلة كالمغرب العربى الذى اشترطته وثيقة التعادلية حتى لا تكون هناك عوامل خارجية تهـــدم المجتمع التعـــادلى .

فى هذا الاطار كان يفكر زعيم التحرير عــــلال وفى

هذا الاطار قدم اراءه التى ابتداها بالنقد الذاتى وحللها فى

تقريره لمؤتمرات الحزب

يرحمه الله فقــد كان اكبر من واضع مذهب . كـــان

الى جانب ذلك يناضل لتطبيق المذهب

الاقتصاد
في خدمة الفرد والمجتمع

شمولية التفكير عند علال تجعل من واجبه ان يفكر في كل ما يطور المجتمع وينقذه من وهدة التخلف التى أردته فيها عصور التخلف وعصور الاستعمار وهو كمفكر يعتبر الاقتصاد اساس الاسس فى تطور المجتمعات نحو الرقى او رجوعها الى الوراء وليس غريب على علال ان يعتبر الاقتصاد اساس العمران فالفكرة ليست ماركسية بقدر ما هى بنت التطور الحضارى والفكرى ولهذا كان تفكيره فى الاقتصاد وفى اصلاح الوضع الاقتصادى فى المغرب ـ كمثال للمجتمعات المتخلفة ـ منبثق عن تحرره من التعبد لنظرية معينة اتى بها الاولون اتى بها المتأخرون الماركسيون والاشتراكيون الذين أصبح تفكيرهم متأخرا عن تطور العصر

فهو يؤمن فى مقدمة ما يؤمن به أن الانظمة لا يمكن

ان تكون دائمة جامدة وانها خاضعة للتطور خضوع المجتمع الذى تطبق عليـــه

لهذا لم يكن تفكيره فى الاصلاح الاقتصادى منبثقـا **عن الاسلام فحسب ، ولا من** نظريات الفقهاء والمفكريـن الاسلاميين فحسب وانما كان تفكيرا نبعا عن دراسة شاملة لكل النظريات الاقتصاديـــة الاسلامية والنظريات الشاذه التى قال بها بعـــض المفكرين المسلمين فى التاريخ المتوسط ، ونظريـــات الاقتصاديين الاوروبيين بمـ فيـــهم الشيوعيين والاشتراكيين وحاول **من كل ذلك أن يضع** تخطيطا لاقتصاد هادف لا يحل مشكلة بوضـــع المجتمع فى مشكلة اعمق ، ولا يحل مثلا مشكلة المجتمع بوضـــع الفرد عبدا للمجتمع حتى عن طريق التحرر الاقتصادى

عـــلال يعترف لكل الافكار والتخطيطات الاقتصادية قديمها وحديثها بالمزايا التى خلقتها انه مفكر مسلم ولكنه لا يفكر تحت اية عقدة فكرية ، بل هو متحرر **من جميـــع** العقد التى تصاحب بعض المتعاطين للتفكير الذين لا يثقون بشخصيتهـــم لهذا نجـــده يؤكد أن الماركسية ـــ مثلا ـــ استهدفت تطبيق العـــدالة الاجتماعية وانصاف المظلومين ويؤكد على الافكار التى ابتكـــرتها والتى سبقت بـــها ويستخرج من كتاب الاخلاق لابن مسكويه مثلا هذه العبارة:

من العدل أن نعين الناس بأنفسنا كما اعانونا بأنفسهم ونبذل لهم عوض ما بذلوه لنا »

ويتجه التفكير الاقتصادى لعلال الفاسى — ومصادره كما عرفنا اسلامية — الى ان الراسمالية الضخمة أصبحت خطرا اقتصاديا واخلاقيا ، وانهـا قضت على كل الانظمة والديانات والمبادىء السامية ، وانهـا ليست الا احتكارا مشؤوما للثروة ويحاص لهذه النظرية — التى لم يكن فيها مرددا ولا مقلدا — من نظرية اسلامية مهمة وهى ان المال فتنـة ليس معنى ذلك اننـا يجب أن نتخلى عنه ، ولكن يجب ان نوجهـه الوجهة النافعة ، فقد يستخدم لخـدمة الانسان والمجتمع ، وقد يستخدم لاذاية الخلق والاضرار بهـم

والمال فى نظره ليس مال الفرد برغم المجهود الـذى يبذله الفرد فى اكتسابه ولكـنه مال الامة ولذلك فكل تصرف فيه لغير المصلحة هو اضرار بالامة وليس اضرارا بمالك المال فحسب ويستـدل على ذلـك بالنظريات الاسلامية التى تحرم استعمال المال فى غير المصلحة

وعلال لا يلغى الفرد من حسابه كما لا يلغى المجتمع اذا كان المال مال الامة فان كسب الفرد ضرورة لتكوين هذا المال والملكية الفردية حق للفرد وضرورة اجتماعية ولذلك لا مجال لتحريم الملكية الفردية حتى تبقى للفـرد شخصيته ومسؤوليته فى المجتمع

غير ان ملكية الفرد يحدها كثير من القيود التى منها تحريم الربا التى تجعل من المال غاية فى حين انه وسيـلة

لاسعاد الانسان واسعاد المجتمع ومن هذه القيود تحريم الاحتكار حتى لا يبقى المال دولة بين الاغنياء فما فضل عن الحاجة الضرورية للانسان يجب أن يوظف فى التنمية الاقتصادية ولمحاربة الاحتكار وجبت الزكاة حتى تغطى التنمية الاقتصادية عن طريق المال ، وحتى لا يبقى اى قدر من المال دون استعمال ، وحتى يضمن لو طبقت الزكاة — وهى حق وليست صدقة — الاقل الحيوى لكل المواطنين الذين لا يستطيعون العمل والاستفادة من توظيف المال فى التنمية الاقتصادية .

ان الهدف من كل نظام اقتصادى عند علال هو تحرير الانسان من الاستعباد الاقتصادى سواء للمال او للدولة أو للاغنياء حتى ينتفى البؤس الفردى ، ومن ثم ينتفى بؤس المجتمع وبذلك يكون الاقتصاد فى خدمة المجتمع ابتداء من الخلية الاولى وهى الفرد وانتهاء بالامة كلها

بهذه العقلية المتفتحة كان الرجل الذى يستقى ثقافته من الاسلام المتحرر من جميع العقد ، الدارس لكل النظريات القديمة والحديثة يرى استغلال الاقتصاد لخير الانسان وتنظيم هذا الاقتصاد على اسس اسلامية مع اعتبار النظرية الرئيسية عنده ، وهى أن الانظمة لا يمكن ان تكون دائمة وجامدة عند المقولات التى مرت عليها قرون أو حتى عشرات السنين ، بل انها خاضعة للتطور خضوع المجتمع الذى تطبق عليه

الحرية مسؤولية

للحرية جهادنا حتى نـــراها

يردد المواطنون هذه الفقرة من نشيد الحزب وقد رددها علال فى ضميره وقلبه وفكره قبل ان يضمنها هذا النشيد ورددها عمليا وهو يجاهد فى سبيلها وقد كان قلبه الكبير يطمـــح فى ان يجاهد حتى يرى **الحرية** ، ولم تكن ابعاد الحرية عنده تسمح بأن يراها الا كاملة غـــير منقوصة فأغمض عينـــيه وما يزال فى قلبه شىء مـــن الحرية وشىء من الجهاد من أجل الحرية

وقد اقترن تفكير عــــلال وعمله وحياته بالحرية فاتخذها نبراسا له يهـــديه السبيل الوعر الذى يسلـــكه ويحدد الهدف الذى يسعى اليه

كان يراها انســانية الانسان ، فلم يكن يفهم الانسان الا وهو ينعم بالحرية ويتحرك فى اطارها

وكان يراها مسؤولية الحرية ليست قيمة مجردة ولا هى تحلل من القيود من اجـــل الا تكون قيود ، ولكنها مسؤوليـــة الانسان فى التفكير والعمل من اجـــل الخير ،

من اجل الصالح العام من اجل الآخرين وهى مسؤولية وليست ملكا بحيث لا يمكن للانسان أن يبيعها أو يفرط فيها او يهدر دمها لانها ملك له ، ولكنه يجب ان يكون قيما عليها لانها ملك للجميع كما لو كان قيما على اموال الاخرين ينعم بحقه الشرعى ولا يتجاوزه الى حق الآخرين

وكان يراها لجميع البشر ولجميع المواطنين فلا حق لاحد فى أن يوزعها كما يشاء ومتى ما أراد ، ولكن الحق فيها للجميع ، وهم الذين يملكون هذا الحق ، ولا حق لهم فى التفريط فيه

وكان يراها فى الفكر فلكل ان يفكر ثم يتمكن فكره من أن يفكر ، ولا حق لاحد فى أن يمنع عنه تفكيره الا أن يكون تفكيره لغير صالح الجماعة فيمكن أن يناقش ويهدى عن طريق الفكر والتوجيه

وكان يراها فى التعبير فالقول هو الوسيلة الاولى للتعبير عما نفكر فيه وهو الذى نبرز فيه المسؤولية التى يتحملها الانسان وهو يتحرر ولذلك كان ضد على كل القيود التى تتخذ ضد حريه الفكر والتعبير عن طريق الدكتاتورية او طريق القوانين المقيدة ولذلك ايضا كانت معاركه الاولى لصالح حرية الصحافة والتعبير وما زال يخوض هذه المعارك كلما مست حرية القول بالقانون المحدد او بالرقابة المفروضه او بالمصادرة والمنع

وكان يراها فى الانتماء والاجتماع والتجمع ولذلك كان يطالب للمواطنين بحرية الاحزاب والنقابات والجمعيات ولا شيء يحد من هذه الحرية ولذلك لم يكن ضد منع الاحزاب والجمعيات والنقابات فحسب بل كان ضد الحزب الواحد ولو كان هذا الحزب على حق لان ذلك يمنع المواطنين الذين لا يتفقون مع هذا الحزب فى ان يتمتعوا بمسؤوليتهم الانسانية والوطنية

وكان يراها فى المناقشة والاقناع ولذلك كان ديمقراطيا بطبعه يدافع عن رايه ويبذل جهده للاقناع ومع ذلك يخضع للجماعة واكثر ما كان يتجلى هذا الخلق وهو يسير الحزب يناقش ويقنع ، ولكنه يخضع لرأى الجماعة معلنا انه ممتثل للاغلبية

بكل هذه المعانى وبغيرها كثير مارس الحرية ففكر ونتجول وخطب وكتب وناقش واقترح ودافع ولم يكن شيء يصده عن هذه الممارسة حتى السجن والنفى والتشرد والابعاد كان يقبلها جميعها عن طواعية واختيار لانه اختار الحرية ، ولم يكن يسعه أن يتنازل عنها

وحتى فى سجنه ونفيه كان يمارس حريته كلما وجد سبيلا لذلك ونحن نعرف أنه مرس الحرية فى المطالبة باستقلال بلاده وهو داخل القيد فى منفاه السحيق بالكابون ولم يكن ليفضل حريته الشخصية على حرية بلاده ومواطنيه وقد ساومه الاستعماريون فى ذلك

عدة مــرات

وكان لا يتردد فى هذه الممارســة ولو كان فى وسـط لا يقبـــل هذه الممارســة افكـــره فى السياسـة والاقتصاد والمجتمع ، بل افكاره فى الدين والعقيدة كانت تصدم بعض الجماعات والهيئات والحكومات والانظمة ولكنه لم يكن يتردد فى ان يعبر عن هذه الافكار ويجاهد فى سبيلها ، ولو اعتبر مارق او متمردا او جامدا او شـاذا

الحرية كانت هى الرابط الــذى يربطه بالمواطنين وعن طريق الدفاع عنها وعن تمتع **المواطنين بكل أبعادها** دخل قلب كل مغربى من انصاره وخصومه على السـواء

وقد كتب عن الحرية الكثير فى كل كتاب من كتبـــه فصل عن الحرية وفى كـــل قصيدة من قصائده مناجاة للحرية وفى كل نشيد ردده الشباب وحفظه الاطفال كان يغرس حب الحرية فى قلوب قرائـــه ومنشدى شعـــره وانـــاشيده

اخذ يكتب عن الحرية كتابا فيما نشر فصولا مـــنه فى الملحق الثقافى للعلم ولو جرد كل ما كتب عن حرية الانســن وحرية الفكـــر وحرية التعبير لكان كفيلا بوضع علال فى مقام الرائد الاول للحرية المجاهد فى سبيلها

الشعب

يمكن ان نقول ان كلمة شعب من الكلمات الجديدة التى ادخلتها الوطنية المغربية فى القاموس المغربى وليس ذلك يعنى ادخال مفرد قاموسى ، **فذلك غير صحيح** تاريخيا ، ولا يقدم ولا يؤخر فى مجال العمل الذى قامت به الحركة الوطنية ، ولكنه يعنى أن مفهوم الشعب أصبح لاول مرة يتميز شيئا فشيئا فى العقلية المغربية سواء بالنسبة **للمواطنين** او بالنسبة **للحاكمين الاستعماريين** والوطنيين على السواء

فالكلمة بالعربية والفرنسية اصبحت تستعمل كثيرا مع بداية الحركة الوطنية ، فوجدت مطالب الشعب المغربى وجريدتا عمل الشعب **والعمل الشعبى** بالفرنسية ويمكن ان يعود الفضل الكبير للراحل العزيز علال الفاسى فى احياء هذه الكلمة فى القصائد الوطنيه

والاناشيد التى انشدها ورتلتها جماهير الاطفال والشبب فى بداية الحركة الوطنية

المهم هو المفاهيم التى اعطاها علال لكلمة الشعب فأصبحت مدلولاتها تتضح لا فى عقــل المواطنين فحسب ولكن فى ضميرهم كذلك

لقد حلت كلمة شعب محل عديد من الكلمات تخلفت من عهد التخلف وركزها الاستعمار ليمزق وحدة البلاد كانت كلمات القبيلة ، المدينة ، ومع القبيلة كانت الناحية او الاقليم يحمل اسم مثلا سوس او الشياظمة او زمور او الرحامنة ، او دكالة ، او الريف ، او الصحراء الخ . ومع المدينة كانت مثلا فاس والفاسيين ومكناس والمكناسيين والرباط والرباطيين وسلا والسلاويين ، وقس على ذلك من الكلمات التى كانت تستهدف التفرقة القبلية والعنصرية حتى أن من يستمع الى المتحدثين او يقرأ كتب المؤرخين — حتى المغاربة منهم غفر الله لهم — يعتقد ان المغرب مجموعة من القبائل والاجناس والعناصر أكثر ما يميزها التناحر والتطاحن ولست فى حاجة الى أن أعيد ما يرويه الرواة عن هذا الصراع الواقعى أحيانا ، الوهمى فى كثير من الاحيان ، يريدون منه أن يؤكدوا أن المغرب يمكن أن يكون كل شىء الا ان يكون شعبــا تجمعه كل مقومــات الشعــوب

لكنه فكرة علال هى ان يعيد الاعتبار لشعب المغرب

حتى لا تظل القبلية والمدنية والاقليمية تطحن كيانه وتمزق وحدته وتتيح للاستعمار ان يتغلب على كل مقومات البلاد بعد ان تغلب عسكريا على كثير من الاقاليم حتى بالاستعانة بالعنصرية والقبلية والاقليمية

مناهضة الظهير البربري كانت قائمة على هذه الفكرة. ولذلك كانت المنطلق الاساس للحركة الوطنية ، ليس من الناحية التاريخية فحسب ولكن من الناحية الفكرية التى كانت تعنى نحن شعب واحد من مازغ ويعرب فلا مجال لخلق الفوارق بين البربر والعرب فى التشريع والادارة والدين والمنطلق الحضارى

ونضال علال من اجل الصحراء وسبتة ومليلية لم يكن الهدف منها ارضيا فحسب فان كثيرا من البلاد تفقد جزء من اراضيها بسبب الحروب او النزاعات بين الجيران ولكن كان الهدف شعبيا كذلك شعبنا فى الصحراء يجب ان يعود الى جزئه فى الجبال والقرى والمدن حتى يتكون المعنى الحقيقى لشعب المغرب فلا يظل مجموعة قبائل واقاليم

وكانت رحلاته مختلف الاقاليم تستهدف هذا الهدف الاكبر فهو يرحل ليحاضر ويدرس فى المسجد ويلقى الخطاب فى التجمع ويجتمع مع كل فئات الشعب من الفلاحين والعمال والتجار والطلبة والمعلمين والعاطلين كل منهم يريد منه ان يشعر بانه مواطن يحمل بذرة

لشعب فيه

ومن هنا كانت فكرته العظيمة التى تقول ان حزب الاستقلال حزب موحد يريد منه الا يكون حـــزب طبقة تنهض لتقاوم الطبقات الاخرى ولـــو باسم الدفاع عـــن المصالح او باسم مقاومة المطامع كان يقول ان الحزب كمحطة قطار تجتمع عندها **جميع القطر مهما يكن حملها،** ولكنها توزع القطر بحسب مصلحـــــة الجميع وفى اطار تنظيم المجتمع حتى لا تصطدم هذه القطارات ولـــن يكون من وراء اصطدامها الا تمزيق الشعب ليس هدف الحزب، كما كان يؤكد أن يمس الطبقية والصراع الطبقى ليقضى على وحدة الشعب ولكن هدفه أن يقرر وينفذ المبادىء والاهداف التى تقرب بين الطبقات وتجعل الجميع يعمـــل فى سبيل الهدف المشترك وسيكون هناك شواذ تختلف مصلحتهم عن مصلحة الاخرين ولكـــن الشواذ لا يجب أن يكونوا طبقة تدخل فى «صراع» **للمحافظة على مصالحهم،** وتشتغل بها الطبقات الاخرى ليصبح الصراع هدف ولن يستفيد منه بعد ذلك الا تحطيم الوحدة وتمزيـــق المجتمع الذى هو الشعب

ومن هنا أيضا كان يدعو الى وحـــدة اللغة لغـــة التعليم والادارة والحياة العامة لا حرصا ولا غيرة على اللغة العربية فحسب ولكن كذلك لتكون اللغة قيمة من قيـــم الشعب تكون وحدتـــه وتماسكه وتعطيه المعنى

الحقيقى للشعوب التى من مقوماتها التفاهم والتفاهم لا يكون بغير لغة واحدة

ومن اجل ذلك ايضا كان يدعو الى تعميم التعليم مثلا فالشعوب قد تتمزق وحدتها **اذا كان بعضها محظوظا** يلقى العناية والرعاية من الحكومة فيتعلم ، وبعضها يبقى على جهله يشقى — **فى ظل الجهل — لاكل خبزه** بعرق جبينه

ومن اجل ذلك ايضا كان يحارب سياسة المركزية التى تجعل من البلاد مجموعة أقاليم بعضها نافع وبعضها غير نافع فمن شأن ذلك أن يجعل من البلاد مجموعة شعوب يستغل بعضها البعض وينفس بعضه على البعض ويحتقر بعضها البعض

خلاصة القول ان تفكير علال السياسى والاجتماعى والاقتصادى اذا كان يستهدف مصلحة الانسان المغربى فهو يعنى الشعب المغربى واكثر ما كان يؤرقه ان يظل هذا الشعب بدون كيان كما كان يريد ذلك المستعمرون واكثر ما كان حريصا عليه هو أن تجتمع كل المقومات لتعطى لشعب المغرب كيانه الكامل

الأرض للفلاح

المال مال الامة وثروة البلاد الاقتصادية هى ثـــروة الامة هذا هو منطق علال الاقتصادى

ولكنه يعتبر الانسان الفرد وكيل الامة فيما يعمل وفيما يحتاج اليه ولذلك فالارض المنتجـــة التى هى ملك للامة بحيث لا يمكن التفريط فيها او منحها لغير الامة هى بالتالى للفرد الذى يعمل فيـــها ويحتاج الى انتاجـــها كجزء من احتياج الامة الى هذا الانتاج

وعلى ذلك فالارض الفلاحية كمصدر من مصادر الانتاج وكثروة للامة يجب ان تكون لافراد الامة التى يعملون فيها وينتجونهـــا ومن هنا كان شعـــاره التقدمى الخـــالد **الارض لمن يحرثها .**

الفكرة تمثل فكرة اقتصادية ضد الراسمالية الضخمة الخطيرة من جهة ، وضد التقليد الاقتصادى الذى سارت عليـــه البلاد المتخلفة ومنها المغرب **التى تعـــتبر الارض**

ثروة تقتنى وتدخر لتزيد أصحاب الثروة مالا على مال واحتكارا على احتكار ، ولتزيد الغنى غنى والفقير فقرا

التخلف ثم الاستعمار جعل الارض لمن يملك لا لمن يعمل بل جعل من يعمل جزء من الارض التى يملكها الاقطاعى أى يملك الارض ومن عليها . ولذلك كان الفلاح عند المعمرين وعند ملاك الارض عاملا أجيراً يشتغل ويشقى ليزيد فى ثروة الاغنياء وليكون الفلاح خماسا أو رباعا أو عاملا بالسهمة مع مالك لا يجوز له أن يملك أرض الامة لانه لا يعمل فيها ولا يصح له أن يستثمرها لانه لا يعمل فيها وقد لا يحتاج الى العمل فيها

ويخلص الى هذه النتيجة المهمة وهى ليس للاجانب ولا لغيرهم حق التملك للارض فى المغرب ، لانه ليس للمغاربة ولا للسلطان حق البيع لما هو ملك للطائفة الاسلامية

ثم ان الارض كملك اساس للامة يجب تحديد الملكية فيها وذلك بتقسيم الملكيات الزراعية الكبيرة على الفلاحين الفقراء وعمال الزراعة وتتولى الدولة أو صندوق التعاون الزراعى دفع الثمن للملاكين الكبار ثم استخلاصه تدريجيا من المشترين الصغار

بهذه الطريقة يمكن القضاء على الاقطاع حتى لا تبقى الارض وهى ثروة الامة وقفا على طائفة تزداد بها غنى أو تحتكرها دون أن تستفيد الامة من انتاجها .

الهدف من كل ذلك عند علال هو تحرير الانسان الذى يكون الاغلبيـــة الساحقة من الامة من الفـــقر والبـــؤس والحاجة ، وتحريره من سبطرة الملاك الكبار الذين يجعلون منه عبدا لا عبد الارض ، ولكـــن عبد الانسان الذى لا يتفوق عليه الا بالمال وقد اكتسبه بغير حق شرعى

هذه هى العدالة الاجتماعية التى يريد علال ان يوجدها فى مجتمع تضافرت عوامل داخليـــة وخارجية ، اجنبـــية ووطنية على استغلاله واستعباده وهو بالتالى يريد ان يجعل من الفلاح انسانا ذا كرامة ومن الكرامة أن يشعر بأنه يملك ما يبذل جهـــده لانتاجه وتنميته واستغلاله لصالحه وصالح عائلته

ومعنى ذلك انه يسقط ملكية الدولة سواء فى شكلها القديم او فى شكلها الجديد الـــذى تنادى به الشيوعية او الاشتراكية المتطرفة التى تقيم الوزن للمجتمع دون أن تقيم اى حساب للفرد باعتباره مسمارا فى دولاب الدولة وهو لا يقبل الوصاية على الفلاح الا ان تكون مساعدة الدولة التى يخلقونـــها بأنفسهم ، والا أن تكون مساعدة الدولة التى هى جزء من واجباتها نحو الفرد والمجتمع

وعلى أساس هـــذه الافكار النظرية خاض معـــاركه التاريخية منذ بداية الحركة الوطنية حينما كـــان يكتب فى الاطلس ضد المعمرين وكبار الاقطاعيين ثم حينما قدم مـــع الفريق الاستقلالى فى مجلس النواب سنة 1963 و 1964

مشروع الاصلاح الـــزراعى ، ثم حينما نادى فى مؤتمـــر الحزب الاخير واجتماعات مجلسه الوطنى بأن الارض لمن يحرثها معارضا فى ذلك استمرار الارض عند المعمرين أو سيطرة الدولة على الارض المسترجعة بل طالب بتوزيع الارض سواء المسترجعة منها من المعمرين أو التى هى ملك للدولة أو للاوقاف أو الجيش أو الجمعات على الفلاحين فى اطار التعاونيات واستثمارها لمساعدة التعاونيات وبقروض من الدولة ومســاعدتها الفنية

الفكر الشمولى عند علال كان يتـــنـاول أول ما يتناول الطبقة المحرومة وخاصة الفلاحين الذين لا ممكنات لهم الا الارض وهل يمكن التفكير فى هؤلاء الفلاحين الذين لا يمكن تعبئة الشعب بدونهم الا على أساس تمكينهم من الوسيلة الاولى للعمل والخـــروج من التخلف والفقـــر الا بتملكهم للارض

كل اصلاح اجتماعى أو فكرى أو اقتصادى لا يمكن أن يحدث فى نظر عـــلال الا بتحرير الانســـن من الفـــقر والعبودية ولا يمكن تحرير الفلاح من الفقر والعبودية الا بعودة الارض له لانه هو الذى يحرثها

التربية
لا التعليم المستلب

لعل من ابرز المواقف، التى تسجل فى تاريخ علال الفاسى وتعطى الصورة الكاملة عن **نضاله وجهاده عمله فى سبيل** تعليم المواطنين خاض منذ بداية النشأة معركة من أجل التعليم ولعلها البداية الطيبة التى رسمت لـه الطريق ليجعل مـن التعليم توجيها وتربية وتجنيدا للنضال الوطنى

فى المدرسة الناصرية — وكانت احدى مدرستين انشئتا فى فاس تحديا للتعليم الاجنبى فى المغرب — عرف، الشباب لاول مرة علال الفاسى فى منتصف العشرينت كان يتردد بين القرويين والمدرسة ، يتعلم ويعلم الى جانب رفيقه فى الجهاد المربى الكبير المرحوم محمد غازى وفى هذه المدرسة عرف، ان التعليم ليس تلقينا للعلوم والمعارف فحسب ولكنه نضال وحرب ضد الافكار الاستعمارية فى التعليم ، وعرف أن المدرسة الحرة الوطنية تعنى عند الوطنيين والادارة الاستعمارية على السواء

المواجهة ضد الاستعمار في الجبهة التي تعتمد عليها وهي الاستبداد بالشباب وتحويل وجهتهم فكريا وتربويا ولغويا نحو فرنسا وكانت المدرسة **الحرة الوطنية تعنى قطع** الطريق على الاستعمار بالاحتفاظ بالشباب في اطار التعليم المعتمد على العربية والاسلام والاتجاه الوطني

من اجل ذلك اقفلت ادارة الحماية المدرسة الناصرية وابعدت مديرها المرحوم محمد غازي عن فاس ، وقد كان علال احد اعمدتها

واقفال مدرسة لم يكن يعني فقط التخلص من مجموعة من الاساتذة **الشبان يربون مجموعة من الفتيان،** ولكن كان يعني فتح جبهة للنضال ضد الاستعمار في الميدان التربوي

هذه الجبهة خاضها علال في مقدمة مجموعة طلبة القرويين الوطنيين حينما طالبوا باصلاح التعليم واصبح يسمى (بالتنظيم وقد كان علال بطل هذه المعركة حتى نجحت بالشكل الذي صدر به **القانون التنظيمي ، ولكنه** تتبعها بعد ذلك **ليجعل من طلبة القرويين — وكان من** حسن حظنا أن كنا من بينهم — مناضلين في سبيل تطوير هذا الاصلاح وجعل التعليم تربية وتوجيها **قبل ان يكون** تلقين معلومات سطحية كان يعرف انها لا تجدي رجل المستقبل

من نافلة القول ان نشير — ونحن نقدم هذه

الصورة — الى الجهود التى بذلها على راس حزب الاستقلال فى تكوين المدرسة الحرة التى تأخذ المبدأ من المدرسة الناصرية ولكنها تتطور بتطور الزمان لكى تكون البديل للمدرسة الفرنسية ولذلك كان من مهمات الحزب الاساسية تكوين **المدرسة ، حيثما وجد فرع للحزب** توجد مدرسة حرة يتبناها الحزب وينفق عليها وينتدب لها المعلمين ويرعى تلاميذها الى ان اصبح الكثير منهم طلبة ولعل الحزب يستطيع ان يفخر بأن معظم اطارات الدولة الان هم منخريجى هذه المدارس ، ولعله يستطيع ان يفخر بأن ماكان يرعاه من مدارس يكاد يكون فى عدد المدارسالتى تنفق عليها الميزانية العامة — باستثناء المدارس الخاصة بالفرنسيين طبعا — ولعله يستطيع أن يفخر بأنه أول من كون بعثات طلابية الى الشرق العربى والى فرنسا ، وكان ينفق عليها مما اضطر ادارة الحماية الى أن تتخلى عن تعصبها فتسمح لبعض الطلبة بمزاولة دراستهم العالية وتدخل المنح الجامعية « **ولو على قلة فى الميزانية العامة** » هذا الجانب التربوى — وهو فصل من نضال طويل خاضه الحزب مع الحماية — دعمه **علال بالدروس التى كان يلقيها** بنفسه فى القرويين وكانت مبعثا مهما للفكرة الوطنية . **فقد** خرج فيها بالتعليم من شكله التقليدى ليجعل منه تربية وتثقيفا لم يكن الطلاب وجمهور **المستمعين يتجمعونحوله** ليتعلموا التاريخ أو تفسير القرآن فحسب ، ولكنهم كانوا

يجتمعون ليكونوا شخصيتهم الوطنية والانسانية ،وليأخذوا الفكرة الحقيقية من دراسة التاريخ او القرآن . ولانبالغ اذا قلنا ان التربية التى كان يبثها فى دروسه اخرجت اجيالا من المناضلين لم يكونوا يتكونون لو لم تكن دروس علال فى القرويين

هذا النضال العلمى الذى زكاه بنضاله لتصحيح اوضاع التعليم بعد الاستقلال كان يستهدف هو الآخر التربية ، وهى تعنى التعليم وزيادة كان دائما يناضل ضد النظام النابليونى فى التعليم والذى ما تزال فلسفة التعليم الفرنسى والذين اخذوه عن الفرنسيين يسيرون على منواله ، وكان يناضل ضد التعليم الذى يعتمد على حشو الادمغة بالمعلومات دون تكوين للعقل وتهذيب للنفس والروح وكان يناضل ضد التعليم الذى يسلب من المواطن روحه الوطنى وانتماءه لبلاده ولو اخرج منه اكبر فيلسوف او اكبر تقنى من هنا اعتمد الانسية المغربية اساسا للتعليم وهى تعنى العود بالمواطن الى انسانيته لا استلابه فى انسية الآخرين

التعليم يعنى عنده التربية عن طريق اللغة القومية والتاريخ القومى والفكر القومى والفلسفة القومية ثم التفتح على الاخرين والتعليم الذى لا يكون شخصية متميزة ليس تعليما وطنيا ، ولكنه تعليم منحرف وكان حتى آخر رمق من حياته يؤرقه الانحراف فى التعليم ويعتبر

هذا الإنحراف مسؤولا عن كثير من الانحرافات فى الحكم والتسيير والاعتقاد والوجهة الوطنية والاستقامة الخلقية

كان يؤمن بالمدرسة المغربية اكثر مما يؤمن بالمدرسة التى لا انتماء لها أو التى تنتمى الى فلسفة استعمارية أو اجنبية فى توجيه التعليم والتى تخرج عقولا منحرفة ولذلك كان ينادى دائما باعادة النظر فى سياسة التعليم ومغربته. والمغربة تعنى اللغة والانسية والتكوين الوطنى والتميز الـــذاتى

هذه هى الامنية التى ظلت تتردد فى صدره الكبير حتى اسلم الروح وما تزال دينا فى عنق الذين يعملون على تصحيـــح الاوضاع مهتدين برسـاله علال الفاسى

ثقافة

وكما كان علال يعتبر التعليم تربية كان يعتبره ثقافة

لم يكن التعليم عنده رفعا للامية ، **وليس من** واجب الدولة فقط ان تنقذ الاطفال من الامية ، ولكن من واجبها ان تفتح امامهم طريق الثقافـــة لهذا كان يعتبر المرحلة الثانوية مرحلة الزامية ومعنى ذلك انه يرفض اللامساواة فى الفرص الحق الذى تتيحه الدولة لطفل المدينة يجب أن تتيح نظيره لطفل فى القرية وان بعدت به الدار ، والمستوى التعليمى الذى يتاح فى مدينة كبيرة يجب أن يتاح لجمـــيع الاطفال والفتيان فى جميع أنحاء المغرب

وهذا ما كان يسميه دمقرطة التعليم

وكان يعتبر أن الجهود التى تبذل فى التعليم الابتدائى ثم يترك الاطفال وشأنهم فى جو بعيد عن التعليم والثقافة ، يبحثون عن الخبز والعمل انما هى تضييع لجهود الدولة ومال الشعب لان المرحلـــة الابتدائية ، **وخاصة فى شكل** ومضمون وأسلوب التعليم الحالى ، **لا تضمن أى مستوى** ولا تدفع بالاطفال فى طريق متابعة المسيرة التعليمية ومن

هنا كان من رايه ان التعليم الثانوى **يجب أن يكون** الزاميا

والتعليم عنده هو الذى يفتح عقلية التلميذ والطالب، على آفاق واسعة فينفذ به الى روح الحضارة وهو يدرس التاريخ او الجغرافية مثلا ، والى روح **الشريعة** وهو يدرس الفقه أو القانون ، والى روح **المصلحة الانسانية** وهو يدرس الاقتصاد والى سمو النفس **الانسانية وهو** يدرس الادب... ولهذا فالتعليم وسيلة الى **الثقافة، والذين** يتعلمون دون ان يتثقفوا لا يفيدون بلادهم وانفسهم الا فى المجال الضيق الذى ينتفعون منه او تنتفع الادارة منهم فى تسيير شؤون الحياة اليومية

واكثر ما كان يعارض فكرة اعتبار التعليم استثمارا واعتبار المتعلم منتجا اقتصاديا كالآلة سواء بسواء الفكرة تنزل بالانسان الى درجة الالة ، وتلغى حظ الثقافة من التعليم ، وتجعل من الدولة والجامعة والمدرسة معملا ؛ ومن الشباب آلات قد تغنى عنهم الآلات الحاسبة أو العقول الالكترونية وبذلك نعود القهقرى فى التعليم على الاقل بدعوى مقاومة البطالة بين المتعلمين ، وقد تكثر الآلات التى تغنى عن التفكير ، وبذلك تصبح الثقافة غير ذات موضوع ، لانها غير مستثمرة ولا تنتج ما ينفق عليها من مال

دفاعا عن الانسان كانسان ودفاعا عن المعنى

الحقيقى للثقافة والتعليم كان يرفض اعتبار التعليم استثمارا اقتصاديا ويأبى أن يكون التخطيط الاقتصادى معتمدا على هذه المقولة ، **والتخطيط للتعليم معتمدا على** هذه الفكرة المخطئة التى تعنى فى مقدمة ما تعنى أنه اذا لم يكن استثمارا أو اذا لم يعد يؤدى الغاية الاستثمارية فيمكن الاستغناء عنه لنبحث عن ميدان آخر يضمن الاستثمار أكثر مما يضمنه التعليم

وكان يأسف أيضا لان التعليم فى الوطن العربى يعتمد الانظمة الغربية وخاصة ما كان مطبقا منها فى المستعمرات وهو تعليم يحصر فكر المتعلم فى تلقن بعض المواد التى تعده للحياة العملية كان العمل فى الماضى هو مساعدة الحاكمين على أن يتفاهموا مع المحكومين وقد يكون تطور فأصبح مساعدة الدولة على التسيير ولكن هذا التعليم لا يكون مثقفين ولا يفتح أمامهم باب الثقافة ولهذا كان يرى ان التعليم يجب ان يعتمد على أسس جديدة تكون فى المتعلم روح الاطلاع والبحث

وتلك مهمة الجامعة التى لا تقوم بها مع الاسف

ولا يستثنى علال الفكر الاسلامى ودوره فى تكوين المثقف العربى المسلم الاسلام عنده ليس تراثا فكريا وحضاريا فحسب ، ولكنه عقيدة موجهة لا يمكن أن يعيش الانسان المفكر فى وسط شعب مسلم دون أن يكون على علم كامل بالفكر الاسلامى ، والا كان نشازا فى وسط

شعبه يعيش على مبعدة منه تفرق بينه وبين الشعب
نيم ومثل ولهذا يرجع احتقار كثير من المتعلمين لشعوبهم
واعتبارهم متخلفين (بقطع النـــظر عن مجال التخلــف
لاقتصادى ذلك لان هؤلاء المتعلمين بعيدون عن الفـــكر
الاسلامى الذى ما تزال ظلاله تظل الشعوب الاسلامية ولو
نها بعيدة عن حقيقة هذا الفكـــر

فمن شرط الثقافة اذن الالمام بالفكر الاسلامى حتى
يبقى المواطن المسلم فى اطـــار الفكر الذى يوجه حياته
وحياة مواطنيـــه ، وحتى لا يبتعد المتعلمون عن شعوبهم
وهم يديرون شؤونها

واذا كان فكر علال مفتوحا على الحضارة الاجنبية
وعلى الثقافة الاجنبية فقد كان يعارض اشد المعارضة
ان يكون المتعلمون المغاربـــة وبالتالى العرب والمسلمون
نسخة من المتعلمين الاجانب يعرفون كل شىء عن تاريخ
وحضارة وانسان البلاد التى درسوا فيها ، ولا يعرفون
شيئا عن تاريخ وحضـــارة وانسان بلادهم هذا التعليم
فى الحقيقة هو الذى يكون الانفصام بيـــن المتعلم وبلاده
يعيش اجنبيا فيها بضمير مضطرب ان استيقظ هذا الضمير
ويشتغل فيها وهو على استعداد ليتركها اذا مـــا وجد فى
بلد غيـــرها عملا يدر عليه اكثر مـــما يدر عليه العمل فى
بلاده ليس حب المال هو الذى يسبب هـــجرة الادمغة ،
ولكن الذى يسبب ذلـــك حتى فى البـــلاد المتحضرة هـــو

الانفصام بين المتعلم وبلاده

تلك نتيجة خطيرة للثقافة المنـــحرفة التى تستلب المواطن فتعلمه كل شىء عن الاخرين ، ولا تربطه ببلاده انسانها وأرضها وتاريخها وحضارتها الا كما يرتبط الغريب بالارض الغريبة يتعايش معها على مصلحة ، فاذا بـــدت المصلحة فى غيرها تركها الى غير رجعة

والثقافة عند عـــلال تعتمد على الحريـــة فى التفكير والممارسة ، فلا ثقافة بدون حريـــة ، ولذلك كان يطالب بالحرية للمثقفين ويناقش المثقفين بحرية ويسمع كلامهم بكل حرية ، واكثر ما كان يغيظه أن تقاطع مثقفا يعبر عن رايه ولو كان يختلف معه كل الاختلاف

يرحم الله عـــلال فقد كان يفكر بالمثال وكان شخصه مثالا للمثقف كما يريده أن يكون ، وكان فكره مثالا للثقافة كما يريدها وقد كان واسع المعرفة طموحا الى التعـــليم مرتبطا بالفكر الاسلامى ملتصقا ببلاده أرضها وانسانها وتاريخها وحضارتها متفتح الفكر على ثقافة الآخرين ، ولكنه غير مستلب

وذلك مثال المثقف كما نريد لبلادنا أن يكونه

الانسية العربية

لعل الغزو الفكرى من أخطر أنواع الغزو التى تعانيها الشعوب المستضعفة ذلك لانه غزو يتستر تحت شعار المعرفة والفكر في الوقت الذى يسلب الانسان كل مقوماته فى المعرفة والفكر ، فيخلق الانسان المستلب ، وهو يوهم بأنه يخلق الانسان المثقف

ومن هنا كان الانسان الذى يكونه الاستعمار أخطر على نفسه وبلاده — ربما — من الاستعمار نفسه ، ومن هنا كان المنحرفون فكريا والمتعاونون ، والمعقدون نفسها والمنفيون فى لغة الاخرين وفكرهم وكان ولاشك الثائرون الذين ينبض ضميرهم بيقظة وذو بعد طول معاناة

كان المغرب احد ضحايا الغزو الفكرى فكان من المتعلمين من وقعوا ضحية هذا الغزو وكل الانواع الذين ذكرنا ، وكان منهم الذين يعرفون عن بلاد المستعمر كل شىء أرضها وتاريخها وانسانها ولغتها وحضارتها وفلسفتها ودينها ، ويجهلون عن بلادهم كل شىء لان

التعليم لم يقدم لهم الا ما يرفـــع بلاد المستعمر فى نظرهم
ويحط من مكانة بلادهم فى نظرهم ، فكان التقديس للاولى
وكان الاحتقار للثانيـــة

ارقت علال هذه الحقيقة ــ وهو المثقف الذى لم يقف
فكره عن ان يرتاد أى ميدان من ميادين المعرفة ــ واعتبر
النضال فى سبيل تصحيح فكر الانسان المغربى لا يقل عن
النضال فى سبيل تصحيح وضع الوطن المـــغربى ، انه لا
يعتبر الوطن ارضا او ترابا أو حدودا فقط ولكنه يعتبره
ارضا وانسانا كذلـك

وبدأ حملته فى سبيل ما اسماه الانسية المغربية

قد تكون ترجمة دقيقة للكلمة الاجنبية التى تعنى كل
ما شحنها به علال مـــن معانى وقد تكـــون ابتداعا أو
اشتقاقا من كلمة انسان ولكنى لا اجد كلمة اصدق منها
فى التعبير عما كان يريده علال منها حينما يجعلها أحـــد
اسس نضالـــه

كان يريد ان يعيد للمواطن المغربى انسانيته الكاملة
بكل مقوماتها الكاملة فيخرجه مـــن الاستلاب الفكـــرى
والعقيدى والانسانى ليعود به الى وطنه يكتشفه ان كان
يجهله ويقدره ان كان يحتقره ، ويحبـــه ان كان يكرهه
ويرتبط به ان كان يبتعد عنه ويناضل فى سبيله ان كان
يقف منه على حيـــاد

وهو لا يرى ذلك فى التربية الوطنية والدينية والخلقية
النظرية فحسب ولكنه يراه فى التعليـــم والتثقيف ومن

ثم كان يطالب بان تعود الانسية المغربيـــة الى التعليم فى المغرب فيتعلم التلميذ والطالب كل ما يحرره من الاستلاب ويعود به الى وطنه اللغـــة والدين والتاريخ والجغرافية والفلسفة والتربية الوطنية فى مقدمة ما يجب أن يعرفـــــه التلميذ والطالب ان كنا نريد أن نجعل مـــنه مؤنسنا اى انسانا مغربيـــا

خاض علال معارك لاصلاح التعليم لانه كان يعرف ان التعليم فى مقدمة ما انحرف فى المغرب ، سواء عن طريق الجمود او عن طريق التغريب ، وان الشباب قد يعرفون الكثير ولكنهم يجهلون كـــل شىء عن بلادهم ، وانـــهم يصلحون ان يكونوا متعلمين فرنسيين مثلا ولنكهم — او اغلبهم على الاصـــح — لا يصلحـــون ان يكونوا حـــتى مستغربين يعرفون عن المغرب بعض ما يعرفه المغرمون من الفرنسيين بالتاريـــخ المغربى او بالحضارة المغربية لذلك اخذ يركز نضاله فى سبيل اصلاح التعليم على الاسس الاولى التى تكون شخصية الانسان المغربى

لم يكن يريد أن يكون شخصية الانسان المغربى لذات الشخصية ، ولو ان ذلك مما يستحق أن يراد ، ولكنه كان يريد ان ينقذ الانسان المغربى من الإستلاب حتى لا يكون لقمة سائغة فى يد الاستعمار وكان يريد أن يعيد للانسان المغربى كرامته لان الانسان المستلب لا كرامة له وكان يريد أن يجعل من الانسان المغربى مناضلا فى سبيل قوميته وبلاده ، والانسان المستلب يفقد كل صفات المناضل ، لانه

لا يعرف الوطن الذى يناضل من اجله ، وبالتالى لا يعرف المقومات التى يناضل من أجلها

الانسية اذن مذهب فى التعليم بقدر ما هــى عقيــدة وطنية تستهدف استعادة الانسان المغربى العربى المسلم من الاستلاب ليكون انسانا كامل الانسانية قادرا على تحمــل المسؤولية عن طريق تكوينه العلمى والثقافى وتحرره من الاستعمار الفكرى والتبعية العقلية

وعن طريق الانسية المغربية كان علال يريد أن كون جيش الثائرين على الماضى البانيــن للمستقبل المناضلــين فى سبيل بلادهم وشعبهم . وما اظن الا أن رسالته فى تحقيق الانسية المغربية سيكون لها مردودها بين الشباب الذين يقدرون دورهم ومسؤوليتهم فى بنـــاء بلادهم



سأله أحد الصحفيين منذ بضعة اشهر

— هل أخذت تكتب مذكراتك ؟

فابتسم يرحمه الله وهو يجيب

— المذكرات يكتبها الشيوخ اما نحن الشباب فما

يزال امامنا طريق العمل

لا أدرى اذا ما كان الصحفى قد استغرب لهذا الجواب المسكت وهو يلاحظ صفة الجد التى كان علال يتحدث بها اليه ام اعتبره مداعبة عابرة ، ولكن الذى اعرفه أنه كان يومن بأنه قادر على ما يقدر عليه الشباب وانه سيظل يعمل للمستقبل ولا وقت عنده لكتابة الماضى

لقد كان يومن بأنه شاب وسيظل شابا لان افكاره لم يعترها وهن الشيخوخة ولا ضعف الكهولة ، ولان نضاله ظل فى مسيرته يستطيع — وقد تجاوز الستين — أن يقوم بنفس العمل الذى كان يقوم به وهو ابن التلاثين

الشباب عنده شباب القلب ومظهره الحقيقى العمل وقد كان قلبه — رغم العلة القاتلة — شابا لان طموحه ظل فى قوته ووعيه وعمله ظل عمل الشباب ، وربما تحداهم حينما يكون مجال التحدى التفكير والتدبير والمناقشة

وابتكار الافكار والعمل على التنفـيذ والكتابة والخطابة والمحاضرة والتدريس وهـل رايت رجلا تعاقبت علـيه صروف الدهر كما تعاقبت على علال فسجن ونفى وشرد وتنقل ، وخاض المعارك ذوات العدد ، ثم أنتج كل ما انتجه علال من كتب ومحاضرات وتقارير وخطب ؟

هذه الفكرة النظرية العمليـة عن الشباب هى التى كان ـ يرحمه الله ـ يسبغها على كـل افراد شعبه ، فلا يريد ان يرى منهـم الا الشباب لا يعترف بشيخوخة احد زامله فى العمل ثم هـو لا يعترف بالشباب الا اذا ضمن ان يحمل المعنى الحقيقى للشباب التفكير والعمل والحماس والشجاعة والانتماء والمجادلة فى الراى والتضحية من اجل الفكرة

كان يعجبه ـ مثلا ـ أن يقرأ للشباب ، ولو محاولات فى الادب والسياسة تحادثنا مـرة عن شعر الشبـاب فى المغرب وكنت متشائمـا من المحاولات التى نشرت فى دواوين ولكنه عارضنى قائلا انها محاولات واعدة وبودى ان اجمع من نتاجهم مجموعة اكتب عنها دراسة كمقدمة وانشرها فى كتاب وعدته أن أقدم له مجموعة من دواوينهم وقد انجزت وما أدرى اذا ما كان الوقت قـد توفر له قبل أن يسلم الروح للقيام بهذا العمل الذى كان يعتبره مساهمة منه فى تقويم الحركة الادبية

كان يومن بالمستقبـل ويعتبر أن المستقبل فى يـد الشباب ولذلك فالشباب هم القادرون على تسيير الحركة

السياسية والوطنية فى هذه البلاد ، وهم القادرون على الالتصاق بالشعب وتعبئة الجماهير ، وخوض معركة العلم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية وصيانة المبادىء والافكار وتطوير عقلية المواطن وقد قلنا من قبل انه كان يفكر بالمثال ، والمثال يأخذه من شخصه وزملائه ، ويعرف انهم — وهم شباب — غيروا وجه التاريخ فى المغرب ، فلم لا نطلب من شباب اليوم مثلا ما صنع شباب الامس ؟

وكان يعتقد الحزب لا يمكن ان يواصل المسيرة اذا لم يعتمد على الشباب طلبة وعمالا وفلاحين واساتذة ولذلك تغمره السعادة اكثر ما تغمره حينما يجتمع الى نخبة منهم يحاضرهم او يناقشهم أو يستمع الى آرائهم وكلما بدت فكرة جيدة من احدهم غمرت السعادة وجهه فابتسم وهو يكاد يصفق

لا يعتبر غلطات الشباب — ولو فى صميم العقيدة والمبدأ — اخطاء ولكنه يعتبرها عثرات يجب أن تقوم ولا يتردد فى السعى الى صاحبها — ولو غضب منه ليقوم العثرة ويصحح الخطأ

وكان صدره يتسع لحماس الشباب فى الجامعة وحينما كانوا يضربون عن الدروس او يطرحون اسئلة غير لائقة احيانا يدرك فى الحين انه مع شباب ، يقوم بدور الاستاذ الموجه فيحبل اسئلتهم الى موضوعات جدية ويضفى عليها من جدية عمله وترفعه فى مقام العلم ما يحول الجدل الذى اريد له أن يكون عقيما الى جدل

علمى مفيـــد

وكان هدفه من الاتصال بالجامعة فى نطاق التدريس هو ان تكون قاعة المحاضرة مركزا للتعاون العلمى مـــع الشباب على نحو ما يفهـــم التعليم والتثقيف ولم يـــكن احب اليه من محاضرات الجامعة ودار الحديث وكليـــة الشريعة رغم الجهد الذى كان يبذله وهو يتنقل بين فاس والرباط والدار البيضاء ورغم الجهد الذى كان يبـــذله فى تحضير المحاضرات والقائها وتصحيح الابحاث والامتحانات والاشراف على رسائل الشهادات ومناقشتها انها جميعا تنقله الى العالم الذى احبـــه وهو عالم الشباب ومناقشة مشاكل العلم ومساعدة الشباب على فتح آفاق تفكيرهم على عالم جديد

وكم تكون فرحته عظيمة حينما يلتقى مع رسالـــة قدمها طالب دبلوم دكتوراه فبحث فيها موضوعا علميا بحثا جديدا كان يترك موضـــوع السياسة ليحدثنا عن موضوع الرسالة وكأنه هو كاتبها كان يعتز بشباب هذا الجيل حينما يقومون بعـــمل علمى يرفع من شأن البحث العلمى ويقدم للمغرب عقلا واعيا وسرعان مـــا يصبح صاحب الرسالة صديقا له لا تلميذا وكم سمعته يفتخر بطلبة او اساتذة شباب فى كلية الحقوق أو دار الحديث او كلية الشريعة ولو اختـــلفوا معه فى الرأى أو الانتـــماء السيـــاسى

كثير من الشباب ما يزالون يتهيبون الاستاذ او الشيخ

او الزعيم ولكنهم ما يكادون يجلسون اليه حتى يحيل المجلس الى اصدقاء فتختفى كل الفروق المصطنعة لتضعه فى صفهم واحدا منهم يناقش ابسط المشاكل ليرتقى بالمجلس الى اعلاهـا

وفى اجتماعات الحزب — مؤتمر او اجتماع المجلس الوطنى او اللجنة المركزية او اللجنة التنفيذية او اللجنة الادارية أن مجلس الفرع — كان يستمع الى الجميع ولكن حينما يتحدث اصغر الجماعة سنا كان ينصت باهتمام ويحاول ان يضع افكاره فى القالب الذى يسير فى الاتجاه ويساهم فى تنمية التفكير فى الموضوع المطروح

قام مرة فى احد المؤتمرات السابقة شاب من مكناس كان يمثل الطلبة الاستقلاليين وادلى بعدة افكار فى غمرة من الحماس ولكن علال كان فى مقدمة الذين اعجبوا بهذا الشاب ناقشه فى أفكاره بعد أن غادر المنصة ، ولكنه ملأه ثقة بالنفس وتنبأ بأن يكون رجلا يفكر ويعمل ، ولعل ظنه لم يخب

من خلال هذه السيرة الشبابية لم يكن للذين يتهمون علال بأنه شيخ — ولو فى السن — لم يكن لهم الا ان يجلسوا اليه أو يقرأوا افكاره او يناقشوه الرأى حتى يقتنعوا بأنه ظل فى شبابه حتى وهو يسلم الروح كان يتنقل بين العواصم ليقوم برسالته كما ينقل الشباب الذين لا يشتكون من أن العمل يرهقهم

السّلفية والثورية

كل الذين يكتبون او يتحدثون عن الحــركة الوطنية يقولون انها بدأت كحركة سلفية ، وكل الذين يكتبون او يتحدثون عن علال الفاسى يقولون انه بدأ سلفيا ، وانطلق من السلفية الى الوطنية

وهذا صحيح من وجهة النظر التاريخيــة ، ولكنه فى حاجة الى توضيح من وجهة النظر الفكريــة والواقعية علال الفاسى وثلة المناضلين من اخوانه كانوا متأثرين الى حد كبير بالحركة السلفية التى تأثرت بالحركة الوهابية والتى تدعو الى الرجوع بالاسلام الى منابعه الاولى حتى يتخلص المسلمون من طغيــان الخرافة والفهم المخــطىء للاسلام ، كما عرفه المتخلفــون من العوام والعلماء على السواء

وكان من الطبيعى بل من التوفيق والتكــامل ، ان تبدأ الحركة الوطنية فى المغرب هذه البداية ، لان المغرب

لم يكن واقعا تحت سيطـرة الاستعمار فحسب ، ولكنه كان واقعا تحت تحالف خطير بـين الاستعمار والرجعية وكان هذان المتحالفان يستفيد احدهما من الاخر ويعتمد احدهما على الآخر حتى انه لم يكن يصعب على الاستعمار ان يستغل الرجعية حليفته ليبرر وجوده الضرورى فى المغرب كمنقـذ **ولم يكن يصعب على الرجـعية** ان تستغل الاستعمار لتحافظ على وجودها

السلفية كانت تعنى اذن الرجوع بالاسلام الى منابعه الاولى ولذلك فهى ترفـض باسم الاسلام وعلى هدى منه كل الخرافات والتخلفات الفـكرية التى علقت بعقول المسلمين ، ثم هى ترفض باسم الاسلام وبهدى منـه كل التدخل الاجنبى الاستعمارى فى شؤون المسلمين من الحكم السياسى والادارى حتى السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والفكريـة

بهذا المفهوم الواسع — الذى لا يعنى مطلقا الالتصاق بالماضى لانه ماضى — كان علال الفاسى سلفيا

ولكن سلفيته لم تكن تمنعه من أن يفتـح فكره على كل ما ابتدع الفكـر الانسانى فى مختلف عصور التاريـخ — وفى مقدمتها العصر الحاضر — من شؤون الفكر والعلم والسياسة والاقتصاد ولم تكن تمنعه من أن يرى الرأى الجديد المبدع الـذى **لا يتعارض مع أصول الاسلام فى** شؤون الاقتصاد ولو تعارض مع الفروع كما رآها الفقهاء

او بعضهم على الاقل

كان الطابع الذى يطبع فكر علال هو الاجتهاد وهو يفكر او يتحدث او يمارس او يكتب ، فى شؤون العلم او السياسة او الفقه او الاقتصاد ومن الواضح ان الاجتهاد يتعارض مع السلفية بالمفهوم الذى اصبح يعطى لها هذا المفهوم يعنى التقليد والتعبد لافكار الماضى والالتصاق بما قال الاولون والاحتراز او التحرج من كل فكر جديد ومن المؤكد ان فكر علال يتنافى مع كل هذه المعطيات لانه فكر مجتهد لا تقليد فيه ولا تبعية ولا جمود

اكثر ما كان يوجهه فى اجتهاده المصلحة والمستقبل

مصلحة الامة الاسلامية لان افقه كان اوسع من ان يفكر فى اطار الاقليم الضيق والامة الاسلامية لا يربط بينها الدين فحسب ، ولكن تربط بينها كثير من المصالح المشتركة ومن التوجيه المشترك فى شؤونها لذلك كانت مصلحتها متقاربة ولذلك كان يفكر فى مشاكلها بعقل متفتح على المصلحة لا على النصوص والتقليد للاولين او للاخيرين وكانت هذه المصلحة تدفع به الى ان يتخلص من التعبد حتى لافكار الذين فكروا قبله واصبح تفكيرهم ومنطقهم وكتاباتهم سلفية بالنسبة للمعاصرين لم يكن يتحرج من ان يدرس الفكر الماركسى مثلا وان يعتبره تراثا انسانيا وان يقدر بعض الاهداف الاقتصادية والاجتماعية منه يكن يرفضه كله لانه فكر ملحد ،

ولكن كان يرفض منـــه الجانب الالحادى طبعا ويرفض منه الجانب الـــذى بتعارض مع الحرية ، ويرفض مـــنه الجانب الذى يتعارض مع كرامة الانسان كفرد وكخلية اولى فى المجتمع ويرفض منه ما يتعارض مـــع المصلحة العامة ويبتـــــدع الراى والفكر الجديد المعتمـــد على الاصول الاسلامية المتحرر من كل جمـــود وتقليد المطبوع بطابع المصلحة العامة

هذا ركن اساس فى فكره الاجتهادى

والركن الثانى فى هذا التفكير الاجتهادى هو المستقبل

ويمكن ان نقول ان هذا الركن يعتمد على طبيعة علال وتكوينه كمناضل ثورى هدفه التغيير الجذرى لمظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد العربـــية والاسلامية والفكر الثورى لا يجتر الماضى ، ولا يفكـــر للفكر أو لتمرين الذهن والعقل على **الفروض المنطقية** ولكن الفكر الثورى يستهدف **المستقبل قبل كل شيء ،** ولذلك لا تكاد تجد علال يتحدث عن الماضى الا قليـــــلا ولا تكاد تجده يغرق فى الجدل المنطقى العقيم عن حدث مضى ، ولا تكاد تجده يكتب لمناقشة التاريخ الا حينما يريد أن يستفيد من كل ذلك لبناء المستقبل

كتابه النقد الذاتى **برنامج بنـــاء مستقبل وكل ما** تحدث فيه عن الماضى انما كان ليؤكد خطأ الماضى وخطأ الالتصاق بهذا الماضى والتعبد له وليـــؤكد مرة اخرى

نظرته المستقبلية وكتبه عن الشريعة أو دائما مع الشعب أو «عقيدة وجهـاد» **أو « منهج الاستقلالية »** مثلا كلها تخطط للمستقبل ولا يرد الحديث عن الماضى فيها الا لبناء المستقبل

الاجتهاد اذن هو الذى يطبع فكر علال والاجتهاد يتنافى مع المفهوم الذى أعطى لكلمة السلفية ولذلك كانت السلفية التى اتسمت بها الحركة الوطنية فى بداية عهدها ، والتى يوصف بها علال تعنى الثورية أكثر مما تعنى الالتصاق بالماضى وتعنى تحدى الواقع من اجل المستقبل

وبهذا المفهوم كان علال منطقيا حتى فى تطوره الفكرى، لانه بدأ ثوريا وانتهى ثوريا

والثورية هى المستقبل وليست الماضى

البعد الإسلامي

قد يكون علال الفاسى سليل عائلة كثير من أبنائها من رجال الدين والقضاء وعلوم الاسلام ، ولذلك ترسب كل هذا الميراث فى فكره وقد يكون تعلم فى جامعة اسلامية معظم الدراسات فيها تتصل بالثقـــافة الاسلامية وبعلوم الشريعة فطبعت اتجـــاهه الفكرى والعلمى بالطابـــع الاسلامى

ولكن عـــلال المفكر تخطى كل عوامل الوراثة وتاثـــير عهد الطاب ليكون مفكرا اسلاميا من طراز جديد قوامه التحرر من رواسب الذين لم يفهموا الاسلام على حقيقته وتخلف الذين لم يدرسوا الاسلام فى عمقه ، والتحرر من الذين عادوا الدين عن جهل ، **أو عادوه ليعبدوا الناس** لدين جديد بآلهته وأنبيائه واوليائه وبأفكاره وتعاليمه

سأل مرة احد طلاب كلية الحقوق الرئيس عـــلال هل انت لينينى او مـــاوى فأجاب على الفور دون أن تفارق شفتيه ابتسامته العذبة أنا علال الفاسى

اجابة لا تعنى الاعتداد بالنفس على نحو ما يمكن أن

يفهم الاعتداد المتسلقون ولكنها تعنى الاستقلال بالفكر على نحو ما يفهم **الاستقلال مفكر مجتهد يحس من نفسه** القدرة على ان يــدرس كل راى وكل مفكر ، ثــم يختط لنفسه الطريق ليكون هو هو

دراسة علال الفاسى للاسلام لم تقتصر على اصوله او فروعه أو تاريخه درس القرآن وفهــم الاسس التى يخططها القــرآن لتحرير الانسان فى عقيدته وفى عمله ، ولتربطه مباشرة بالله ولتجعل منه خليفة الله فى الارض اعظم مسؤولية تحملها مخلوق

ودرس كل ما تفــرع عن القرآن من عبــادات فى أصولها ومن معاملات ومن توجيهات اقتصادية واجتماعية واخلاقيـــة

درس كل ذلك بعقل المفسر او المحدث أو الفقيه على نحو ما كان المفسرون والمحدثون والفقهاء ، ولكــن بعقلية العالم المفكر الذى يريد أن يستخـــرج من القرآن والحديث والفقه الاسس الاسلامية لبناء المجتمع الاسلامى الحديـــث

ثم أخذ يدرس كل ما اعطتــه الحضارة الانسانية فى ميدان بناء المجتمع وفى ميدان الفكر الفلسفى والاقتصادى والاجتماعى والاخلاقى ، يدرس كل ذلك دون عقدة فى كتب المسيحيين واليهود وفى كتب الديانات الوضعية ، وفى كتب الفلاسفة غــير المتدينين ، وفى كتب الملحديــن وخصـــوم

الديانات وفى كتب الشيوعيين والاشتراكيين والفوضويين لم يكن يضيق بفكر أو دراسة لان صاحبه غير اسلامى أو لان اتجاهها ضـد الدين أو لان كاتبها عـدو للاسلام ولكنه كان هاوى معرفـة ، لا من اجل المعرفة فحسب ولكن ليزداد تقوية وتدعيما للاتجاه الذى اختطه وهو بنـاء مجتمع اسلامى مثـالى يجيب على كـل التساؤلات التى يطرحها الملحدون والمتمردون على الديانات ويعطى البديل الاسلامى لكل الانظمه الالحادية والشيوعية ، التى تختط لنفسها أول ما تختط ، القضاء على الدين لانه كما تزعـم افيون الشعوب

الدين عنده عقيدة وعمل ونظام سياسى واقتصادى واجتماعى العقيدة واضحة ، ولكنها يجب أن تحرر مـن رواسب عهد التخلف **ومـن كل ما الصقه الجامـدون** والمتخلفون فكريا بالعقيدة الاسلامية

وتلك معركته الاولى من اجل السلفية ضـد الطرق وضد كل العابثين بالاسلام

والعمل والنظام هو الذى كافح من اجله طيلة حياته لايجاد مجتمع اسلامى يحكم فى السياسة بأساس نظـام الشورى ولكنه لا يستثنى مطلقا تطبيق أحدث الانظمة الديمقراطية والاساليب التى تحقق هذه الديمقراطية لانها لا تخالف أساس الشورى فى الاسلام ، ما دامت لا تتعارض مـع ارادة الشعب ولا تستثنى **طائـفة أو طبقة مـن**

الشعب

ولايجاد مجتمع يعتبر الاصول الاسلامية أساسية فى الاقتصاد الذى يجب ان يتحرر من الراسمالية الطاغية التى تعتبر المال اصل كل مجهود كما يجب ان يتحرر من السيطرة المطلقة للدولة التى تعتبر المواطن مجرد مسمار فى دولاب المجتمع ويجب أن يتحرر من المضاربات، والردويات ومن سيطرة طبقة مالكة مثلا على الطبقات المنتجة من فلاحين وعمال وصناع وتجار صغار الخ

والاسلام عنده يحكم النظام الاجتماعى الذى يجب أن يقوم على أساس من الخلق الاسلامى ، لا صراع ولا حرب بين الطبقات ، فى الوقت الذى يجب ان تعتبر مصالح كل الافراد وكل فئات المجتمع لان لهم حقوقهم التى يجب ان يحصلوا عليها بقدر ما يعملون

والاسلام عنده يحمى حرية الفرد وحرية المجتمع فى التفكير والتعبير والعمل ويحمى حرية المراة كما يحمى حرية الرجل

والاسلام يمنع انظلم ظلم الدولة والسلطة ، وظلم الافراد وظلم المجتمع

والاسلام يقرر المساواة فلا عنصرية ولا طائفية ، ولا عبرة للجنس فى التمتع **بكل الحقوق التى يبيحها** الاسلام

هذه معالم الطريق التى سلكها علال المفكر فى فهم

الاسلام ورغبته الكامـة فى تطبيقــه فى المجتمع الاسلامى
وهــو لا يرفض اى أسلوب حديث نبلورة هذه الافكـار
السياسية ولا يجمد عند بعض الاصول التى لم يعد
ممكنا تطبيقها فبابا **الاجتهاد والمصالح المرسلة فيهما متسع**
لتنظيم المجتمع الاسلامى الحديث

واذا كان يعتقد أن الاسلام صالح للعصر لانه لم يهمل
الجانب التنظيمى للمجتمع ، فهو لا يقبل أن يحارب الاسلام
باسم التقدميه أو باسم العلمانيــة او باسم الشيوعية أو
باسم المسيحية **او اليهودية أو باسم أى دين آخر . الاسلام**
يجب أن يدافع عن نفسه ، والمسلمون يجب ان يدافعوا عن
انفسهم حتى لا تهدم عقيدتهم ومجتمعهم واخلاقهم شعارات
ملحدة نابعة من الداخل أو قادمة من الخارج

فى قلبه الكبير اجتمعت الوطنيــة والاسلام كل منهما
كان فى حاجة الى نضال للفهم ونضــال للتنفيذ والتطبيق
وهذا ما قام به فى السنين **الخمسين التى قضاها مناضلا**
يرحمه الله فقد كان ذا قلب كبير

المسلمون والمسؤولية

الافكار والعقائد والمبادىء لاتقوم بنفسها عند علال فأكثر ما كان يكره التجريديات لالانه من انصار المذهب البراجماتيزى في الفلسفة ، **ولكن لانه يومن بالانسان** ويعتقد ان كل خير انما يراد به الانسان

لذلك فالاسلام الذى حللنا افكاره عنه في الفصل الماضى لن يكون اسلام **الكتب والنظريات ولكن اسلام** المسلمين

المسلمون عنده طائفة تتحمل مسؤولية فكرية وعقيدية وعملية ، واجبها ان تكون موجودة وان تكون لها السيادة في المنطقة التى تكون فيها الاغلبية وان تكون لها الكرامة الانسانية اولا والكرامة التى يمنحها اياها دينها وهو اقوم الاديان واكثر الاديان احتراما للانسان وللحرية والكرامة والفكر

المسلمون يجب ان يتكتلوا لالعصبية دينية فحسب ولكن

ليمكنهم الدفاع عن العقيدة الاسلامية، وليمكنهم ممارستها بكامل الحرية ، كما تمارس العقائد الاخرى بكامل الحرية اذا كانوا أغلبية فيجب الا يتحللوا من مسؤوليتهم فى المحافظة على الاسلام لانهم لم يكونوا مسلمين لاعتناق عقيدة فحسب. ولكن الى جانب ذلك ليتحملوا مسؤولية ، واذا كانوا اقلية فيجب أن يتكتلوا لممارسة عقيدتهم من جهة ، وللدفاع عنها من جهة أخرى حتى لاتنقصها من أطرافها الاغلبية

ويعتقد علال الفاسى يرحمه الله أن الدفاع عن المسلمين ليس واجب المسلمين فى الوطن المعتدى عليهم فيه فحسب، ولكنه واجب المسلمين فى جميع الاوطان التى تعتنق الاسلام. حينما كان يعمل من أجل الحركة البربرية كان يعرف الجوانب العنصرية والوطنية والقضائية واللغوية التى كان يهدف لها الاستعمار بالسياسة البربرية ، **ولكنه كان يعتبر** ان الجانب الاسلامى جماع هذه الجوانب جميعا الاستعمار كان يستهدف فصل طائفة كبيرة من الشعب دينيا عن بقية الطوائف الاخرى . ومن الدين كان يمكن أن يصل الى تمزيق وحدة الوطن والى الاستيلاء على مختلف اجزائه

وحينما كان يناصر المسلمين فى باكستان أو كشمير أو نيجيريا او الجزائر او فلسطين **او ايريتريا أو الفيلبين كان** يعرف ان الاسلام هو الرابطة التى تكون هذه الاوطان. وان ضياع الاسلام هو ضياع للمسلمين ومحق للشخصية التى لن يكونوا ــ حتى انسانيا ــ بدونها

اشتهر عن علال الفاسى انه مفكر اسلامى ويمكن ان نقول لهذه الشهرة بعيدين أساسيين

اولهما انه يعرف الاسلام على حقيقته ويدرس فلسفته ويستخرج الاسس التى يمكن أن يتعايش الاسلام بها مع العصر معايشة تزيد فى تقوية العصرية عن طريق الحقيقة الاسلامية ، دون التخلى عن الاصول الاساسية فى الاسلام

وثانيهما ان الطائفة الاسلامية يجب ان تربط برباط مهم هو الفهم المشترك للاسلام من جهة ، وهو التعاون والتضامن والدفاع عن المسلمين كلما مسهم طائف من الظلم او العدوان وانهم يجب ان يتحملوا مسؤوليتهم كمسلمين فى الدفاع عن انفسهم وعن بعضهم ، ولو ربط بينهم مايربط الصين او اندونيسيا بالمغرب مثلا

ويجب ان نوضح ان الرئيس علال كان يأسف لانحدار الخلافة الاسلامية الى الهوة التى سقطت فيها ، **ويأسف** للقضاء على الخلافة كجامعة كانت تربط بين المسلمين ومن ثم كان تأييده الكامل للمؤتمر الاسلامى ولتكوين أمانه عامة لهذا المؤتمر الذى يمكن ان يجمع كلمة المسلمين فى المشاكل الكبرى منجهة ، ويمكن أن يدافع عن المسلمين حينما يتعرضون للاخطار الماحقة التى يتعرضون لها هنك أو هنالك

ومن هنا كان يشارك فى الجمعيات والرابطات الاسلامية ليوجهها هذه الوجهة الحقيقية الكبرى وهى الدفاع عن

المسلمين حتى يظل الاسلام حقيقة ثابتة
فلا اسلام بغير أهله المسلمين

العروبة

القيم التي كان يعتمدها علال لتكوين المغرب يمكن أن تكون قيما وطنية عقيدية قومية وقد ألمحنا فيما تقدم من هذه الفصول الى القيم الوطنية **والعقيدية ونخصص** هذا الفصل للقيمة القومية

من الاناشيد الاولى التى كان يوجه بها الشباب ويلهب حماسهم نشيد يقول فيه كلنا من عربى خالص أو بربرى وقد ظل هذا الاتجاه يوجه تفكيره فى كل ما كتب وخطب وفكر وخطط

نحن عرب وبربر لا يختلف نسبنا فالعرب والبربر من أرومة واحدة انتقل البربر الى شمال افريقيا قبل الاسلام بقرون وحافظوا على هذه البلاد كأقوى ما يكون الحفاظ وانتقل اليها العرب مع الاسلام فنقلوا عقيده ولغة وحضارة واشترك العرب والبربر فى قيادة البلاد سياسيا وعلميا وحضاريا وتكون منهم المغربى الذى يسكن الجبل أو السهل ويتحدث العربية أو البربرية

ويذين بالاسلام ويدافع عن الوطن

فكرة القومية الضيقة بمعناها العنصرى لم يحاول ان يبرزها فى المغرب الا الاستعمار ، ولكن مقاومتها جاءت من كل سكان البــلاد واذا كانت المقاومة قــد ظهرت فى بداية الامر عندما اعلن الظهير البربرى فى شهر ماى سنة 1930 فقد استمرت المقاومة فى الجبــال والمدن ومن كــل المواطنين سواء منهم من يقول انـــه عربى أو بربرى حتى تحقق الاستقلال

كان الجميع يعلن دفاعـــه عن عروبة هذه البلاد والفهم الحقيقى للعروبة كان يعلنه علال فى غير ما مناسبة فيقول ان القضية ليست قضيـــة جنسية أو عنصرية فكلنا ننتمى الى جنس واحد وعنصر واحد ولكنها تقضية واقع وفكر وثقافة الواقع يقول ان المغاربة يكونون عنصرا واحدا ، ولا يمكن أن يزعم أحد أنه عربى خالص أو بربرى خالص ، ومن الذين يزعمون انهم عرب خلص انحدروا من عائلات بربرية، ومن الذين يزعمون انهم بربر خلص شرفاء انحدروا من عائلات عربية . والقبلية لا محل لها فى بلد وحده الاسلام ومنحته العربية القرآن وعلوم اللسان

عروبة المغرب اذن تعنى المعنى الـــواسع للعروبة التى تشمل الاسلام والثقافة العربية والاسلامية وكثيرون من جهابذة علماء اللغة وعلماء الاسلام فى المغرب ينتمون الى قبائل بربريـــة

وبهذا المفهوم الثقافى الفكرى **الحضارى العام كان**

يفهم عروبة المغرب وبهذا المفهوم أيضا كان يناضل ليصل المغرب بالوطن العربى فى نضاله التحررى ، وليجعل منه عضوا فى الجامعة العربية ، ثم ليوحده فى مجموعة المغرب العربى الذى يشمل ما بين سيناء وموريطانيا ، ثم فى الوحدة العربية الكبرى

وبما أن العروبه ليست مفهوما جنسيا أو عنصريا فان اللغة العربية التى هى لغة القرآن ولغة الثقافة التى اضطلع المغرب بجزء كبير منها يجب أن تكون اللغة الوطنية لهذه البلاد لا فى الدستور والقانون فحسب ، ولكن فى التعليم والحديث والحياة العامة كذلك

المعارك التى خاضها علال فى سبيل اللغة العربية كان يعتبرها من متممات استقلال هذه البلاد الاستقلال السياسى لا يكفى اذا لم يحمه الاستقلال الفكرى والفكر لا يستقل وهو أسير لغة أجنبية نفس المنطق الذى استعمله الاستعمار حينما حاول أن يحول هذه البلاد عن اصالتها وقوميتها فبدأ باللغة التى جعلها لغة التعليم ولغة الادارة ولغة الحياة العامة ، **نفس هذا المنطق كان يفرض** على علال أن يكون تحرير المغرب واستعادة اصالته وقوميته يأتى عن طريق الاسلام والوطنية واللغة القومية التى يجب **ان تكون لغة التعليم والادارة والحياة العامة .**

لقد كانت المعركة التى خاضها من أجل تعريب التعليم معركة ضارية ، لانها لم تكن فى وجه تزييف الاتجاه المنحرف، فى المغرب فحسب ولكنها كانت أيضا فى وجه الدعوات

الفرنكوفونية والدعوات التى تزعم ان اللـــغة العربية قاصرة عن ان تستجيب للثقافة الحديثة وانتصر فى معركة تعريب القضاء ، وبدأ ينتصر فى معـــركة تعريب التعليم وكان يستبشر خيرا كلما خطا التعريب خطوة ولو قصيرة الى الامام وشن فى السنة الماضية حملة من اجل تعريب الادارة والحياة العامة وكانت سنة 1973 سنة مطـــالبة الشعب بالتعريب ويمكــن ان نقول انه نجح فى تعبـــئة الشعب للكفاح فى سبيل الفكرة واستبشر خيرا بالمنشور الذى وجهه الوزير الاول فى موضوع التعريب ، وكــان ما يزال يرصد النتائج

هكذا كانت العروبة عنده كلغة وثقافة أساسا مـــن أسس القومية المغربيـــة ، وأساسا من أسس الكيان الوطنى لهذه البلاد ومن هنـــا كان يعبىء نفسه وحزبه للنضال فى سبيل البلاد العربية المضطهدة بنفس الحماس والقوة التى كان يعبىء بهما نفسه وحزبه للكفاح فى سبيل المغرب كان يعتبر ان اى جزء من البلاد العربية اذا ما اضطهد او احتل او استعمر فذلـــك لا يمس هذا الجزء فحسب ولكنـــه يمس كـــل الوطن العربى بما فى ذلك المـــغرب

ومن هنا يأتى حماسه الكبير لتحرير فلسطين كجزء مهم ـــ بل كقلب الوطن العربى والاسلامى . ومن هنا كانت دعوته الملحة الى توحد البلاد العربيـــة ، ولو فى وحدات اقليمية كمقدمة للوحدة الشاملة وكان آخر نداء وجهه

وهو فى ابى ظبى والكويت ان **امـــارات الخليج يجب ان**
تتوحد لصد كل عدوان عليها

بهذا المفهوم الواقعى المستمد من فكر متـــفتح كان
يفهم العروبة ويدافع عن عروبة المغرب

العدالة والقانون

اعتقد ان مفهوم الكلمات يأخذ من الشخص أكثر مما يأخذ من اللـــغة الميتـــة بل ولا من التاريـــخ والماضى القريب منه والبعيد فمفهوم كلمة عندى قد يكون هو غير مفهوما عندك ، ولـــو اتفقنا جميعا على الاصـــل اللغوى الذى نستمد منه جميعا المعنى الاولى للكلمة **لاننى اعطى** الكلمة التى استعملها شحنة من شخصيتى ، من ثقافتى من مفهومى للحياة والناس كمـــا **تعطى فنخرج الكلمة من** قاموسيتها المتحجرة الى انسنتها

من هذا المنطلق يمكن أن نقـــول ان معنى كلمة عدالة يأخذ فى ذهن علال الفاسى مفهوما قد لا يكون هو المفهوم الذى يأخذه عند مفكر يعيش فى بيئـــة منظمة يجرى فيها العدل مجراه وقد لا يكون هو المفهوم الذى يأخذه عند رجل لا يعرف من كلمة العدالة الا المعنى الذى يأخذ من القاموس ، ولو كان قاموسا قانونيا .

كلمة العدالة عند عـلال الفاسى تأخذ معناها الحقيقى من الاختطاف الذى تعرض له وهو ابن العشرين ورمى به فى السجن أولا ، ثم فى غرفة مظلمة من قـرية مهجورة لا يعرفه احد فيها ، وتأخذ معناها من الاختطاف الذى تعرض له بعد ذلـك بسبع سنوات ورمى بـه فى زنزانة من قرية مهجورة فى الكابـون ليقضى بهـا تسع سنوات هى أزهر فترات شبابه دون أن يعرف عن الدنيا او تعرف عنه وتأخذ معناهـا من شعوره الممتزج مـع مواطنيه وهو يراهم بساقون الى السجـون والمعتقلات والمنافى ، بل والمقصلة ، دون أن تطرف عين الحاكم وهو يصدر حكمه بنظرة الى قانون ، ودون أن يرتعش ضميره بعدل وتاخذ معناها من المواطن الذى **يحدثه كيف ضربه** القائد على خده ليهدر كرامته ويمحو شخصيته ، وتاخذ معناها من الانسان الذى عذب حتى الاحراق لان له رأيا يخالف رأى معذبه وتأخذ معناها **من الانسان الـذى** طورد من قريته لانه كان يبيت خائفا **من أن تتخطف عصابة** ما عائلته واطفاله

من كل ذلك اخذ علال الفاسى المعانى الحقيقية لكلمة عدالـة وبكل ذلك اخذ يناضل ليحقق العـدالة فى هذه البلاد عن طريق التفكير والنضـال فى سبيل تحقيقها وعن طريق التشريع وعن طريق الدفاع عنها لصالح المظلومين وضد الظالميـن

لقد بذل علال من ذات نفسه فى اللجان التى تكونت لوضع التشريعات فى الاحوال الشخصية والقوانين الاخرى بفكره المتفتح وعقله انواعى وبروح التطور التى اكتسبها اثناء دراسته الواسعة لمختلف القوانين

وكان يومن بفكرة مهمة جدا وهى أن البلاد العربية والاسلامية انساقت وراء خطأ فى التفكير مصدره الاستعمار والتبعية الفكرية ، حينما اخذت بالقوانين الفرنسية كأعظم ما وصل اليه الفكر الانسانى فى التنظيم القانونى وفى ضمان العدل للناس ، وهم ينسون أن هذه القوانين استمدت من القانون الرومانى من جهة ، ووضعت لبيئة غير بيئتنا ولمجتمع غير مجتمعنا ولمشاكل غير مشاكلنا واذا كان يمكن **التقليد فى كثير من الاشياء ، فان** القانون الذى يفترض انه يضمن العدالة لا يمكن التقليد فيه أو نقله بالحرف

ولهذا كان يدعو منذ البداية انه لا يجب ان نقلد المقلدين ولو كانوا عربا ومسلمين حتى لا نقع فى نفس الاخطاء ولهذا ايضا كان **ينعى دائما على اللجان المغربية** التى وضعت بعض القوانين المدنية **والجنائية فلم تزد على أن** ترجمت ان صح انها ترجمت ، أو على الاصح وضعت كلمة المغرب ومغربى بدلا من كلمة فرنسا وفرنسى وكان يدعو الى تغيير هذه القوانين لا لانها اجنبية فحسب ، ولكن لانها لا تضمن العدالة التى **نريدها لبلادنا ولمواطنينا**

ولمجتمعنا العدالة كما نفهمها نحن **المسلمين المغاربة** العرب لا كما يفهمها لنا الاوربيون **المتشبعون بالعقلية** الغربيـــة

العدالة عنـــده ليست قيمة مطلقة ، ولكنها قيمـــة نابعة من حاجة الانسان والمجتمع ، **ومن نوعية تركيب** هذا المجتمع ومن مستواه الاقتصادى والاجتماعى

وفى هذا النطاق خاض معركة مغربة القضاء وتعريبه لانه عن طريق التفكير المغربى **وباللغة العربية يمكن ان** نضمن الكثير من العدالة التى لا يمكن ان نضمنها بالقضاء الاجنبى الموضوع باللغة الاجنبية ومعركته فى هذا الموضوع هى التى انتجت قانون مغربة القضاء وتعريبه الذى صدر عن مجلس النواب الاول

وفى اطار تحقيق العدالة كتب كتابيه العظيمين اللذين تهافت عليهما رجال القـــانون الاجانب فترجموهما الى الفرنسية ، وهما مقاصد الشريعة ومكارمها و «دفاع عن الشريعة فقد اغنى الفكر الاسلامى بهذين الكتابين اللذين أوضح فيهما ن الشريعـــة الاسلامية صالحة لان تكون مصدرا للقانون المغربى مع التفتح الذى عرف عنه ، والذى يقوم على اساس الاجتهاد الفكرى وتطبيق الشريعه بروح العصر على المجتمع المسلـــم لا تطبيق القانـــون الرومانى أو الفرنسى المأخوذ عنه — ولو بروح العصر — واعتقد ان قراءة هذين الكتابين تفتح أعين رجال القانـــون

والشريعة على الاخص على كثير من الافاق التى نحب كمغاربة مسلمين ننشد العدل فى بلادنا أن تنفتح آفاقهم عليها

هذا النبع من فيض علال الفكرى فيما يتصل بالعدالة كان زاده فى نضاله من اجل تحقيق العدالة فى بلاده فقد كان لا يطيق أن يعتدى على القانون ، لان القانون عنده أقدس تعبير عن ضمير الامة وكان لا يطيق أن يسمع عن ظلم يقع على مواطن فأحرى على مجموع المواطنين وكان لا يطيق أن ينحرف حماة القانون بالعدل ، لانهم بذلك لا يظلمون الانسان فحسب ، ولكنهم يمرغون وجه العدالة التى يمثلونها فى الوحل

وكان يناضل بكل ما يملك من قوة النضال الفكرية والعلمية وبكل شجاعة المناضل حتى يبقى القانون اساس العدالة فى هذه البلاد لانه يومن بألا عدل بدون قانون ومذكرتاه الاخيرتان اللتان عارض فيهما الاصلاحات القضائية التى سنتها الحكومة من اعظم ما يسجل فى تاريخه النير

لقد كان يعتبر العدالة قوام الحياة وقوام الاخلاق وقوام الاستقرار ، وقوام السلطة ، ويوم تنهدم العدالة فى بلد ما يتشاءم من أن تنهدم كل هذه القيم ، ولذلك لا غرابة اذا كان قد نصب نفسه ليكون المناضل فى سبيل العدالة بالمفهوم الذى اخذه عنها من خلال نضاله وممارسته وعلمه وكتاباته وتفكيره

وحدة المواطنين

قد تكون كلمة « وحدة » من أكثر الكلمات التي ردها علال في حياتــه ذلك انه كان يعرف من تاريخ المغرب الحديث أن الوطن وقع أسير الاستعمار لاسباب في مقدمتها ان وحدته تمزقت وكان يعرف من التاريخ الحديث للعرب والمسلمين انهم وقعوا في قبضـــة الاستعمار لان وحدتهم تمـــزقت

وكان الى جانب هذا الدرس التاريخي يعيش مـــع الواقع المغربي فيجـــد أن المغرب أصبح مغارب ، واننا اصبحنـــا نتحدث عـــن الشمال والجنوب وعن المنطـــقة الفرنسية والمنطقة الاسبانيـــة والمنطقة الطنجية وكان يعرف بالممارسة والتجربـــة التي كانت تقض مضجعه أن المغربي حينما ينتقل من المنطقة السلطانية الى طنجة لا بد أن يقدم جواز سفره اربع مرات على الاقل ثـــم عاش مع العرب وهم يهتفون بالوحدة ويكونون الجامعة العربية، ولكنهم يدخلون حرب فلسطين ثمانية دول وثمانية جيوش

لم تتمكن حتى من التنسيق فيما بينها ، فكانت الهزيمة

وجاء الاستقلال فوجد يرحمه الله ان محادثات ايكس ليبان واتفاقيات باريس ومدريد تكرس تمزيق المغرب ، ولو انها تعترف بشكل أو بآخر بالاستقلال وبحث عن الاجزاء المهمة من المغرب شنقيط ، الصحراء الشرقية ، الصحراء الغربية سيدى افنى وطرفاية والساقية الحمراء ووادى الذهب فوجدها جميعا ابتعدت عن المغرب وبحث عن سبتة ومليلية فوجدهما ابتعدتا عن المغرب

من ثمة تقمصت فيه فكرة الوحدة واعتبرها رسالته الاولى بل اعتبر ان عدم عودة الوحدة الى المغرب مأساة لا تقل عن مأساة الحماية وكان وحده يشعر بالمأساة فى الوقت الذى كان الجميع يعيش عرس الاستقلال

هذه احدى القضايا الكبرى التى عاش لها بقية حياته منذ سنة الاستقلال حتى اسلم الروح وكان نداء الكويت ، الذى هز أركان العالم من جديد آخر صيحة صدرت عن ضمير المغرب قبل أن يودع الدنيا بأيام

هكذا عالج وحدة المغرب

والى جانب وحدة المغرب كان يعالج قضية وحدة

المغرب العربى والتاريخ سيسجل بمداد الفخر دعوته الى وحدة المغرب العربى منذ بدأ يفكر وطنيا فقد كانت الوطنية عنده أوسع من ان تضيق فلا تشمل المغرب العربى لهذا كانت مساهمته الرئيسية فى مكتب المغرب العربى بالقاهرة طيلة السنوات التى قضاها فى المشرق العربى ابتداء من سنة 1947 ، ومساهمته فى انشاء لجنه تحرير المغرب العربى التى تراسها البطل المجاهد محمد ابن عبد الكريم الخطابى والتاريخ سيسجل بمداد الفخر مساهمته فى مؤتمر طنجة للاحزاب الوطنية التونسية والجزائرية والمغربية سنة 1958 واستمر يدعو الى وحدة المغرب العربى ويجعلها من القضايا الاساس التى يلح عليها كلما قابل المسؤولين فى المغرب أو الجزائر او تونس واعتبر وحدة المغرب العربى ضرورة وطنية واقتصادية واجتماعية فأكد فى وثيقة التعادلية 11 يناير 1963 ان تحقيق التعادلية لا يتم الا فى اطار المغرب العربى

وقد تطورت فكرة المغرب العربى عند علال فنادى فى آخر اجتماع للمجلس الوطنى — 10 و 11 نوفمبر 1973 — وفى الندوة التى عقدها الحزب لدراسة هذا الموضوع فى — 2 و 3 فبراير 1974 — أن وحدة المغرب العربى يجب أن تشمل مصر فتكون من سيناء حتى موريطانيا وهى الفكرة التى دعا الى تحقيقها فى اجتماعه

مع وفد الاتحاد الاشتراكى المصرى الذى زار المغرب فى شهر مارس الماضى

ولم تكن وحدة المغرب العربى تتعارض عنده مع الوحدة العربية فقد كان يرى أن الوحدات الاقليمية طريق الوحدة الكاملة ولهذا أيد وحدة مصر وسوريا ومشاريع وحدة مصر مع السودان ، ووحدة مصر مع ليبيا ، ووحدة تونس مع ليبيا

ودعا فى تصريحاته الاخيرة فى الكويت الى وحدة دول الخليج

فكرة الوحدة عند علال الفاسى ليست منبعثة من عاطفة وحماس ولكنها منطلقة من فلسفة وطنية فقد كان يعتبر أن عهد الوطنية الضيقة المقفلة قد ولى وان هذه البلاد التى تربطها اللغة والدين والفكر المشترك والمصير المشترك وتواجهها مشاكل خطيرة استعمارية فلسطين » واقتصادية واجتماعية لا يمكن أن تتخلص من مشاكلها الا بوحدة اقطارها بالشكل التدريجى الذى يحقق الوحدة الكاملة كهدف ، والا بوحدة الرأى بين العاملين فى الحقل الوطنى والسياسى . ومن ثمة كان عاملا فعالا فى تكوين الكتلة الوطنية من حزب الاستقلال والاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وكان يلح على عودة الوحدة الى الحزب ولو بالاندماج تحت اسم الكتلة واعتبر تكوين الكتلة فى 26 يوليوز 1970 انتصارا للضمير الوطنى الذى

كان يمثله والفترة التى نشطت فيها الكتلة كانت أسعد فترات حياته

لقد كان علال رائدا وليس غريبا عن رائد كعلال أن ينصب نفسه للنضال فى سبيل وحدة الوطن ووحدة المواطنين ووحدة المغرب العربى والوحدة العربية ولذلك كان يأبى الا أن يصف حزب الاستقلال بأنه « الحزب الموحد

ضميره الصّحراوي

في الوقت الذي تعيش البلاد حزنها العميق بفقد الرجل الذي التصقت حياته بالكفاح في سبيل الاستقلال والحرية والوحدة تنبعث المشكلة الاساس التي عرف بها وعرفت به وهي مشكلة استرجاع الصحراء المغربية وقد كان علال الفاسي يرحمه الله يربط نضاله بقضيه الصحراء وخاصة بعد ان اتخذت قضية الاستقلال طريقها نحو الحل وتصعدت عمليات المقاومة وتنظيم جيش التحرير فرأى رحمه الله أن الجهود التي بذلتها فرنسا في أواخر الاربعينات تستهدف الحاق المناطق الصحراوية التي تحتلها بافريقيا الغربية أو بالجزائر ، وتنبه الى أن الاستقلال الذي سنحصل عليه سيكون استقلالا ناقصا ، ولذلك بدا يحرك قضية الصحراء المغربية في كل الاتجاهات

وعاد علال الفاسي الى المغرب بعد الذي نعرفه من موقفه الصارم من الاتجاه الذي حاول المفاوض الفرنسي ان يعطيه لمؤتمر ايكس ليبان ، وكان المواطنون

فى عــرس لتحقيــق الاستقلال سواء الذين شاركــوا فى
تحقيقه بالعمل المباشر او بالفداء والمقاومة ، وكان البعض
منا فى شغل بتنظيم الحــكم وتسيير الحكومة والادارة
وهــو وحده رحمه الله كان يقول فى تنبيه شبيــه بالانذار
للمواطنين شعبا وحزبا وحكومة   استقلالنا ما يزال ناقصا
ما دامت قضيــة الصحراء لم تحل   واخذ يبذل فى قضية
الصحراء ما كــان يبذله فى قضية الاستقلال من نضــال
سيــاسى ودبلوماسى وتــوعية وطنية   وعمل للفــداء
والتضحية

ذلك انه كــان يعرف المغرب فى حدوده الطبيعــية
والتاريخيــة ، ويعرف أن الاستقــلال النــاقص لا يعتبر
استقلالا حقيقيا ولو أعترفت به الدول وتكونت فيه الحكومة
ومارست عملها السياسى والادارى   الاستقلال عــنده
ارض ومواطنون   والاستقلال الذى حصلنا عليه سنة 55
وتأكد بالاتفاق مــع فرنسا ثم اسبانية 1956 تنقص فيــه
الارض وينقص المواطنون لان جزءا كبيرا من أرضنا مــن
توات حتى تندوف ومن نهر السينغال حتى طرفاية كــان
ما يزال فى غيبة عن السيادة المغربية ، ولهذا وهب نضاله
بعد الاستقلال مباشرة من اجل هذه المناطق المغتصبة

ويشهد الله ويشهد التاريخ انه كان يعتبر النضال
فى قضية كهذه لا يقل عن النضال فى سبيل القضــاء على
عهد الحماية   ولم يكن فى مبدأ الامر يحس بهــذا المعنى

العميق الا هو والاخوان المغاربة الصحراويون الذين تركناهم فى الاسر وجئنا الى هذا الجزء المحرر من بلادنا نحتفل بالاستقلال كان الحزن يطل من عينيه وكان الالم يعتصر قلبه حينما لا يجد التجاوب كاملا ، ولذلك كان عليه ان يناضل فى عدة واجهات كما كان يناضل فى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات

كان عليه أن يناضل ليقنع بعض المسؤولين فى الحزب بحقيقة الوطن كما تركه الاجداد وكما استولى عليه الحماة ، وكان عليه أن يناضل ليقنع المسؤولين فى الحكم بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب ، وكان عليه أن ينشر الوعى بالصحراء بين أبناء الوطن ، وكان عليه أن يعمل لاثارة الموضوع على النطاق الحكومى بين المغرب من جهة ، وبين فرنسا ، وبينه وبين اسبانيا من جهة أخرى

وعلال من الذين لا يملون العمل اذا كان لصالح الوطن ، فأحرى اذا كان فى سبيل قضية تعتبر من صميم العمل الوطنى وهى قضية أجزاء مهمة من ترابنا الوطنى. ولذلك انشأ صحيفة اسبوعية هى صحراء المغرب ومجلة شهرية بالفرنسية هى الافاق الصحراوية اخذ ينشر فيها مجموعة من الوثائق التاريخية التى تؤكد مغربية كل جزء من الصحراء وينشر المقالات والابحاث عن مغربية الصحراء ثم جعل من الصحراء محور جهاده

واتصالاته وخطبه ومحاضراته وبياناته فى الحزب وعزز جهاده بأصدقاء ثقة من الصحراويين كالامير فال ولد عمير والمختار ولد باه والمجاهدين من المنطقة الموريطانية وابناء الشيخ ماء العينين من المنطقة التى تحتلها اسبانيا وقد كانوا جميعا شاهد عيان على مغربية الصحراء

وكان جهاده السرى أكثر من جهاده العملى فقد كان يجتمع مع المغفور له محمد الخامس لتدبير الخطة من أجل تحرير الصحراء وكان يعمل لتحويل نضال جيش التحرير الى الصحراء حتى كاد يحررها ، بل دخل بعض اقاليمها لولا التحول الذى طرأ على الموضوع مما يحفظه التاريخ وسيرويه لا محالة وكانت رحلته على رأس وفد من الحزب فى اطار العمل الذى نظمه محمد الخامس رحمه الله لاقناع الرأى العام الدولى بمغربية الصحراء فى مقدمة الاعمال التى قام بها

وهكذا ملأت عليه الصحراء كل تفكيره واستغرقت كل عمله فيما يكتب ويحاضر وينظم ويصدر من خرائط وأبحاث ويقنع من مسؤولين وأجانب ويعيد للشعب من وعى بقضية الوحدة وبأهمية الصحراء ، وهو الوعى الذى غاب عن جيل الاستقلال بسبب التمزيق الذى قامت به جيوش الاحتلال لارضنا

وقد اعتاد علال الفاسى أثناء نضاله الطويل على

شيء اساس هو الجحود الذى ينتهى بالاعتراف بالجميل وبالاقتناع بالرأى رغم المجهودات التى بذلها للاقناع بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب لاقى جحودا فى هذا الموضوع فى بعض الاحيان فسموا الخريطة التى وضعها للمغرب بخريطة علال الفاسى واقبرت الخريطة التى بذل جهودا كبرى فى سبيل طبعها علميا وبالالوان ، وقالوا ليتنا نستطيع ان ندير ما حررناه فكيف بنا بما لم نحرره وقال عنه الاجانب والمستعمرون انه يطمع فى توسيع رقعة المغرب وقال عنه الباحثون حتى الاجانب منهم انه الرجل الاول الذى عرف الناس بحقيقة الوطن المغربى وحقيقة المواطنين المغاربة كما استلمتها الحماية من عهد الاستقلال وظل ميزانه فى الافق الوطنى والافق الدولى يتأرجح بين الجحود والاعتراف بالجميل حتى انتصرت الفكرة ولو لم ينتصر نهائيا فى تنفيذها

ولا يسعنا فى هذه اللمحات أن نكتب التاريخ ، وأن نعرف المواطنين بالاسباب التى جعلت نضاله فى الصحراء لم يأت كل ثماره فذلك موضوعه مما سيكتب عن تاريخ الحركة الوطنية ودور علال الفاسى فيها ولكن الذى يهمنا هو انه أدى الرسالة حتى اصبحت قضية الصحراء قضية المواطنين جميعهم وما اشك فى أنه مات قرير العين لانه كان يعرف رحمه الله بالتجربة أن افكاره الوطنية حينما يقذف بها فكره النير ووطنيته الصادقة وايمانه

المطلق وعقيدته التى لا تقبل التزحزح ومنطقه الذى لا يقبل الانكار ولا الرفض ونضاله المسميت المستمر ، هذه الافكار وان رسبت فى الاعماق فانها تنداح كما تنداح دائرة الماء فى بحيرة هادئة لا تلبث أن تصل آثارها الى أطراف البحيرة ولو بعد حين ولهذا لم يكن يتأثر بالجحود او يحجم عن تبليغ رسالته الصحراوية كدابه فى كل النضال الذى قام به منذ وعى وانما كان يسير وهو يكسب الانصار فى مسيرته حتى مات وليس فى المغرب أحد لا يومن بضرورة استرجاع الصحراء ، وعاش وهو يشهد اعتراف كثير من الدول العربية والاسلامية والاجنبية بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب

كان من الممكن وقد تحققت أكبر أمنية عند الوطنيين وهى الاستقلال ان يخلد علال الفاسى الى الراحة ، وان يهادن الاستعمار الذى استبد بتقرير مصير الاجزاء المغتصبة من بلادنا ويبقى مع ذلك مجد علال كزعيم لتحرير الوطن هو نفس المجد الذى حققه بجهاده الطويل ولكن مفهوم علال للوطن ومفهومه للمواطنين كان يحرك ضميره ليبحث عن الوطن فى حدوده الطبيعية والتاريخية (وحينما نقول التاريخية لا نقصد التاريخ البعيد ولكن نقصد التاريخ الحديث الذى لا يعدو وقت فرض الحماية) وليبحث عن المواطنين فى كل مكان عاش فيه هؤلاء المواطنون وضميره الوطنى كان يؤكد له أن الصحراء لم

تفصل قط المغرب ، ولكنها كانت صلة وصل للمغرب بالقارة الافريقية وبالمشرق العربى والاسلامى والدور الذى قام به المغرب فى تاريخه الحافل سواء فى نشر الاسلام بافريقيا او فى تكوين الدعاة والدول كدولة المرابطين والموحدين أو فى نضال المغرب فى الاندلس للابقاء على الاسلام اربعة قرون كاملة ، كل ذلك كان دور الصحراء المغربية فى التاريخ المغربى والافريقى والاندلسى وفى تاريخ الاسلام على العموم

فكيف تخفى هذه الحقيقة عن فكر الرجل الذى تمثلت فيه خلاصة جهاد المغرب الوطنى والعلمى ، وعن الرجل الذى لم يكن يحترف السياسة ، ولكنه كان يعيش الوطنية بكل ابعادها التاريخية والفكرية والانسانية وكيف ينام ملء جفنيه فى بلد مستقل وثلاثة ارباع البلاد اسيرة فى يد الاستعمار الفرنسى والاسبانى او ممزقة الى اقاليم ومناطق

هذا الوعى هو الذى دفع علال الفاسى الى أن يشهد معركة الصحراء ويمهد لها قبل انتهاء معركة الاستقلال السياسى

ورغم ما منيت به قضية الصحراء من تهاون وانهزامات ، فقد كان الرجل — كما عرفناه دائما — الذى لا ينفذ الى قلبه اليأس ولذلك ظل يناضل فى كل الجبهات الرسمية والشعبية مع الصحراويين ومع غير الصحراويين.

ظل يناضل حتى النفس الاخير وما زلت اذكر كيف كـان يتصل مع بعض المسؤولين الاسبانيين ، وبعض الذين كانوا مسؤولين ، وكيف سافر عدة مرات الى مدريد واتصل مع رجال الحكومـة الاسبانية محاولا أن يصـل الى نتيـجة ملموسة وكان فى الحقيقة ينجح فى تقريب وجهات النظر بين الحكومتين المغربية والاسبانية — وهو يقود حـزب المعارضة — بما يضمن استرجاع الصحراء ، نظرا للمكانة التى كانت له فى قلوب الجميع ومنذ سنتين حينما داهمته الازمة القلبية الاولى فى مايـو 1972 كان على موعد مـع بعض المسؤولين الاسبانيين موعد سرى حتى عن بعض رجال الحكومة الاسبانية من المتطرفين ضد المغرب وكان سيصحبه الاخ محمد بوستة وفتـح عينيه بعد يومين من الازمة الحادة ووجوه الاطباء تعلوها مسحة من اليأس القاتل رغم الابتسامة المصطنعة ، فتح عينـيه على وجه الاخ بوستة وارتسمت على وجهـه السمح ابتسامتـه العذبة وتمتم بين شفتيه فى صوت مسموع ايك ان تنسى موعد 19 مايو لا بد ان تذهب ، ان لم استطع انا فكن انت فى الموعد المقرر

فى الساعات الرهيبة التى تملا قلوب الناس فيـها الخشية من الموت كان يملا قلبـه العامر حب الصحـراء والدفاع عنها وتلك أبلغ درجات الهيام بالوطن والمواطنين، وليس ذلك بغريب على علال ، ذلك الصوفى الذى عـلم

الناس كيف يهيمون فى حبهم لوطنهم وكيف يفدون بلادهم بأغلى ما يكسبون ، حياتهم

ومن توفيق الله ورعايته واستجابة لمطامح هذا القلب الكبير انه وفقه وهو يخطو خطواته السريعة نحو لقاء ربه ، وفقه ليكون آخر نداء سياسى له يتعلق بالصحراء المغربية، يستحث فيه الدول العربية أن تقوم برسالتها نحو تحرير هذا الجزء من بلادنا العربية واصبح نداء الكويت كنداء القاهرة سرعان ما وجد الاستجابة الكاملة فبدات دنيا المغرب بعد نداء القاهرة لتحرير الجزء الاوسط من بلادنا

ان لنا نحن المواطنين ، ونحن الاستقلاليين من تلاميذ علال وزملائه فى النضال املا كبيرا فى أن تكون نتيجة نداء الكويت كنتيجة نداء القاهرة . فقد كان علال رائدا لشعب المغرب فى نضاله التحررى والرائد لا يكذب اهله

اذا كان تحرير الصحراء ارتبط باسم علال الفاسى فليس ذلك بغريب ، فقد ارتبطت كل ميادين العمل التحررى باسمه سواء هنا فى المغرب أو هناك فى فلسطين وهذه منزلة اكرم بها الله هذا الرجل الذى قدم لبلاده ودينه ما يسمو فوق التقدير

الاستعمار
في أبعاده الكبرى

ارتبطت حياة زعيم التحرير بالنضال ضد الاستعمار وقد عرف الى جانب فكره الواسع وثقافته المتنوعة وعلمه الزاخر بزعامته الوطنيه التى لم **تكن تعنى الا اعلان الحرب** ضد الاستعمار أينما كان وفى اية ارض حل بها

فما هـو المفهوم الذى كـان يعطيه — رحمه الله — للاستعمار

أبسط مظاهر الاستعمار هو الاحتلال الاجنبى لبلد م والسيطرة على مقدراته الاقتصادية والادارية والفكرية وقد ارتبطت حياة علال بالنضال ضد هـذا الاستعمار فى مبدئه وفى تفاصيله التى تعنى تصرفات الادارة الفرنسية والاسبانية بالمغرب وكان عمله لمقاومة هذا الاستعمار يتجه فى ثلاث اتجاهات أولها المقاومة النظرية والعملية بفضح أعمال الاستعمار صغيرها وكبيرها منذ الاستيلاء على ماء فاس وتحويله لاراضى المعمرين سنة 1926 حتى

مؤامرة عشرى غشت وتلاعب ايكس ليبان سنة 1955 وثانيها توعية المواطنين بواجبهم النضالى ضد الاستعمار بتسيير اول خلية للحزب حتى تنظيم المؤتمرات والمهرجانات الخطابية العلنية التى اصطدم فيهـا **الحزب بالقوات** الاستعمارية وثالثها تنظيم خلايا المقاومة وجيش التحرير منذ نداء القاهرة عشية عشرى غشت 1953 حتى تنظيم جيش التحرير المغربى الجزائرى الذى بدأ حرب التحرير فى الاوراس فى فاتح نوفمبر 1954 واتبعها بحرب التحرير فى **اكنول وتيزى وزو وبورد فى** فاتح اكتوبر 1955

هذا هو المفهوم الاولى الواضح والمقاومة الاولية الواضحة للاستعمار ولكن الاستعمار لم يتخذ هذا المفهوم الواضح البسيط فحسب ، وانما اتخذ مفهوما اعمق هو السيطرة على العالم وخاصة المواقع الاستراتيجية فيه التى تمكن من استغلال الثروات الطبيعية والانسانية فى العالم الثالث لصالح العالم المتصنع المنجهز عسكريا واقتصاديا المتقدم علميا

وكان الرئيس علال يدرك كامل الادراك هذا المفهوم الخطير للاستعمار قديمه وحديثه ، ويضع تحركات الاستعمار ضد العالم **العربى والاسلامى وضد العالم** الثالث وفى مقدمته افريقيا فى هذا الاطار كان يدرك أن احتلال فلسطين وتركيز الصهيونية التى ليست الا ذيلا

للاستعمار فيها لم يكن الا وسيلـــة لتمزيق الوطن العربى والاسلامى وفصل آسيا الاسلاميـــة العربية عن افريقيا العربية الاسلامية ويستدل على ذلك من اجتماع نظـــمه احد رؤساء الحكومات البريطانية مع مجموعة من علماء التاريخ والجغرافية والاجتمـــاع وحينما طلب اليهـــم ن يبحثوا له عن بديل للاستعمار بعد أن تكشف أن مصيـــر الاستعمار الرسمى الى زوال ، فاشاروا بـــزرع جسم غريب فى وسط الشرق العربى ، وكانت الصهيونية العالمية تتحرك فشجعتها انجلترا على التركيز فى فلسطين حتى تكون هـــى الجسم الغريب ليفصل الشـــرق عن الغرب وشعوب آسيا عن شعوب افريقيا والوطن العربى عن بعضه والوطن الاسلامى عـــن اقطاره

ومن هنا كان يعتبر قضية فلسطين اخطر قضية يمكن ان يواجهها العالم الثالث ولو لم تكن بعض اقطاره عربية او مسلمة وقد تجلى هذا العمل الاستعمارى فى النفوذ الـــذى تسرب الى افريقيا وبعـــض دول اسيا وأوروبا المسالمة عن طريق الخبراء الصهيونيين الذيـــن ليسوا الا عملاء للاستعمار الجديد وكان تخلص دول افريقيا مـــن العلاقات مع اسرائيل و المساعدة الاسرائيلية بداية الخطة لهزيمة هذا الاستعمار

وكان الى جانب ذلك يرى أن الاستعمار الاقتصادى لا يقل خطرا عن الاستعمار العسكرى، ولهذا يهتم بالتحرر

الاقتصادى لا بتحرير الارض من المعمرين فحسب ، ولكن كذلك بتحرير الراسمال من التدخل الاجنبى ، وبتحرير الهياكل الاقتصادية المغربية والعربية والاسلامية من القواعد والاصول والقيم التى خلقها الاقتصاد الراسمالى الذى يعتبر المال كل شىء ، **ويجعل الانسان آلة لاستثمار** المال لهذا كان يعتبر الضحية الاولى لهذا الاقتصاد الاستعمار هو الانسان المستضعف ، فيجب أن يثور ويتحرر من هذا الاستعمار الجديد القديم

وكان يعتبر الاستعمار الفكرى من اخطر انواع الاستعمار التى تواجهها الشعوب التى ابتليت بالاستعمار الغربى ويتمثل هذا الاستعمار فى سلب الشعوب المستعمرة قيمها اللغوية والفكرية وأسس تعليمها وحضارتها كان يؤمن بالاقتباس من الحضارة الحديثة كل الاساليب المتطورة الموصلة ، ولكنه الى جانب ذلك كان يلح على الاصالة الفكرية التى تحتفظ للمواطن بشخصيته ومقوماته ومن ثم كان يخوض معارك التعليم على أساس اللغة القومية والانسية المغربية والحضارة العربية الاسلامية وكان يعتبر استعمال اللغة الاجنبية لغة تلقين فى المواد الاساس فى التعليم من شأنه أن يدفع بالمواطن الى احتقار لغته ، ومتى ما احتقر لغته استطاع بسهولة أن يندمج فى الفكر والاقتصاد للبلاد التى منحته لغتها كلغة علم وثقافة وادارة

وكان يرى ان الاستعمار يدخل حتى من طريق التزاوج المختلط بين المواطنين فى البلدين الذين مرت بينهما علاقات استعمارية المراة فى البيت لها سلطتها الفكرية ولها اثرها فى تربية ابنائها على مثال من مواطنيها ولذلك فهى تكون مواطنين اجانب ينتمون الى قومها عاطفيا وفكريا ولغويا ولو عاشوا فى وطنهم ومن ثم جاءت حملته الاخيرة على الزواج بالاجنبيات وبالاجانب لم يكن يهدف بها قضيـــة عنصرية او قوميـــة بقدر ما كان يهدف تحـــرير المواطـــن من الاستعمار فى شكل خطير من اشكاله

هكذا نجد ان حملته ضد الاستعمار لم تكتس قط نوعا من العداوة للاجانب او ضيقا فى افق التعاون ، لكـــنها تستمد حقيقتهـــا من تحرير المواطن سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا حتى يكون مواطنا حرا ــ بكل معنى كلمة الحر ــ فى وطن حر

النفي

مرحلة تحول في الفكر الوطني والسياسي

من الصعب أن يسبر الباحث مراحل التحول الفكرى عند المفكرين الكبار والعظماء الذين تتجاوز اهتماماتهم انفسهم لتسلك بهم طريق البحث لتغيير اتجاه العالم او جزء من العالم فالفكر ينمو أحيانا كما ينمو الانسان دون أن نشعر بنموه ، ويخيل اليك أحيانا أن الفكر النامى خلق ناميا كما قد يخيل اليك أن الرجل خلق رجلا دون أن تلحظ مظاهر التطور والنمو فى هذا أو ذاك لهذا يصعب أن يترصد الباحث مرحلة التطور الفكرى أو التحول الجذرى عند مفكر يمتاز بشمولية الفكر واتساع أفق الاهتمامات

ولكن فى حياة العظماء كثيرا ما تكون وقفات تفرضها الاحداث احيانا ، لانهم فى معظم حياتهم يقفون ضد التيار والا لما امتازوا ولما كانوا عظماء أحداث جسام فى حياتهم تنتج عن التيار الذى يعاكسون فيقفون أمامها ليتبلور فكرهم عن تخطيط جديد أو اتجاه جديد أو قرار

جديد ، وفى كل ذلك يكمن تحولهم الفكرى

والرئيس علال من بين هؤلاء الرجـــال الذين كتب الله عليهم ــ توفيقا منه وتوجيها ــ أن يقفوا ضد التيار فى صلابة وعزم واصرار وكـــان عليهم ان يقفوا ضـــد التيار فى سن مبكرة ولذلك تكاثرت الوقفات التاريخية التى يحظى منـــها العظماء بوقفـــة أو وقفتين ، فكانت فى حياته وقفات عديدات كـــل منها يمكن ان يحدث التحـــول الفكرى المرتـــجى ، وكل منها يستـــطيع ان يبلور فكـــره الوطنى والسياسى اعتقل وابعد ، وعاش حياة البعد فى سبيل القضية الوطنية التى يعمل من أجلها ، وذاق النصر والهزيمة فى عمله واتصالاته ، وشهد كل آماله تنهار ، ثم شهـــد يقظة كـــل الامال ، راى هزيمـــة البـــلاد وراى انتصارها ، وراى تألب كل الظروف ضـــد الحزب لتهزمه عدة مرات ثـــم رأى انتصار الحزب عدة مرات شهد الاستقلال وشهد انحراف خـــط السير فى بناء الاستقلال وكل هذه وقفات كان يمكن ان يقف عندهـــا الفكر ليتبلور وليكون المرحلة التحولية فى الفكر

ولكنى أعتقد ان النفى الطويل كان أعظم هذه المراحل جميعا واعتقد أنه كان مرحلة تحول كبير فى الفكر الوطنى والسياسى للرئيس علال

هناك ظروف عديدة جعلت من النفى المرحلة المهمة ، فى مقدمة هذه الظروف أن النفى كـــان طويلا ، وكان خارج المغرب وكان فى افريقيا ، وثانيها ان النفى كان فى مرحلة

النضج الفكرى فقد نفى الرئيس علال وسنه نحو سبع وعشرين سنة ، وعاد من منفاه وسنه نحو ست وثلاثين سنة وهذه السنوات التسع مرت فى وقت التكوين والنضج وثالثها ان الوقت كان وقت حرب ، والحرب لم تكن شرا كلها ولم تستغرق اهتمام العالم دون التفكير فيما بعد الحرب بل ان عظماء الرجال الذين سيروا الحرب كانوا يفكرون فى الحرب ووسائل النصر ، وكانوا يفكرون بالاضافة الى ذلك فيما بعد الحرب ، وفى طريق بناء عالم ما بعد الحرب ، ولم يكن هذا التفكير مقتصرا عليهم ، وانما كان يعم الشعوب المغلوبة على امرها وكان يعم بصفة خاصة زعماء الشعوب والذين تأخذ قضايا بلادهم المرتبة الاولى من اهتماماتهم ، واعتقد ان الرئيس علال كان فى مقدمة زعماء العالم الثالث الذين كانوا يكافحون فى سبيل تحرير بلادهم ، وقد كانوا من القلة بحيث ان معظم الذين عرفهم العالم فيما بعد هم وليدو ما بعد الحرب اى ما بعد المعركة الفكرية الكبرى التى خاضها العالم مع حركة الحرب فاذا عددنا زعماء العالم الثالث آنذاك فسوف لا نجد الا أسماء مثل علال وغاندى ومحمد حتى ومحمد على جناح وبورقيبة وهؤلاء عاشوا مع بلادهم ومن اجل بلادهم فى قلب المعركة العالمية التى كانت لهم درسا عظيما ووقفة مهمة لاتخاذ سبيل تحول فكرى خطير، ومن هذه الظروف المهمة التى جعلت من النفى مرحلة تحول فكرى مهم عند الرئيس علال ان التجربة

الماضية فى الكفاح أبانت عن فشل فى التفاهم مع المحتلين ولذلك كان لابد من وقفة على مفترق الطرق بعد أن تأكد أن كثيرا من الطرق لم توصل الى رومـــا وقفة للتحول الفكرى حتى يهتدى الفكـــر الى الطريق القويم الموصل الطريق الذى يمكن أن يحقق الهدف الاستقلال والبناء

أعتقد أن أكبر ميزات الرئيس علال أنه لم يكن وطنيا فحسب ، ولـــم يكن سياسيـــا فقط ، وانما كان — الى جانب ذلك أو فوق ذلك مفكرا ويمكن أن أقول أنه فى مقدمة الساسة المفكرين الذين أنجبهم هذا العصر ، ولذلك كان النفى بحق مرحلة تحول للرجل المفكر ، ولو لم يكن مفكرا لدخل النفى وخـــرج منه وطنيا كما كان أصلب عـــودا أو أطرى ولكن التحول لـــن يكون عظيما لانه ساعتئذ سيكون متصرفا بالعاطفة والعاطفـــة تحتد أو تضعف ولكنها تظل عاطفة ولانه كان مفكرا يخدم الوطنية بالفكر كان النفى عاملا مهما من عوامل تطوره الفكرى

فما هو هذا التطور

المظهر الاساسى للتطور انه آمن بأن الاستقلال هو الوسيلة الوحيدة لتحرير المغرب وبنائه ، نفى والفكـــره السائدة أن الوقت لم يحن بعد للاستقلال ، واننا لا ينبغى أن نطلب استقلالا لا نستطيع تحقيقه ولا نستطيع القيـــام بأعبائه ولا نستطيع أن نقاوم رد الفعل الفرنسى اذا ما طلبناه ولكنه وهو الوحيـــد المبعد المنقطع عن عالـــم أصدقائه وعن الشعب الذى يستمد منه الفـــكر الوطنى

اتجاهه ومطالبه طالب باستقلال المغرب ، وقدم مذكرته من المنفى وحاول ان يقابل دوكول يوم كان رئيسا للجنة تحرير فرنسا ليعرض عليه الفكرة متذرعا بنفس الافكار والمبادىء التى كان يحملها دوكول لتحرير فرنسا

هذا تحول مهم في الفكر الوطني والسياسي للرئيس عــلال

والتحول الثانى في نظرى ان افقه انفتح على عالم اوسع فبدا يفكر في المغرب العربى وفي افريقيا ، ولكن تفكيره في المغرب العربى كان اقوى ، فقد ادرك من المنفى ان العمل الفردى سواء في تحرير اقطارنا او بنائها لا يمكن ان ينتج اذا لم يعاضده العمل الجماعى في اطار المغرب العربى ادرك ان وحدة الاستعمار في المغرب العربى وفي افريقيا وفي مختلف انحاء العالم لا يمكن ان تقهر اذا لم تقابلها وحدة الحركات التحررية في مختلف البلاد التى تعمل للتحرر ومن هنا بدا فكره المتسع ينتج فكتب كتاب

الحركات الاستقلالية في المغرب العربى » وعمل مع قادة هذه الحركات في القاهرة وعمل على الدفع بالحركة الدستورية في تونس لكى تصبح حركة استقلالية ، وساهم في تكوين جيش التحرير الجزائرى وتنظيم الثورة الجزائرية بنفس الروح الذى عمل بها في اعلان « نداء القاهرة » وفي تنظيم المقاومة وجيش التحرير المغربى لقد اصبح يعتقد أن الاستعمار لن ينهزم الا اذا وسع ميدان المعركة كما انه لم يهزم بلادنا الا حينما وسع هو نفسه ميدان

المعركة وقد كانت النتيجة لصالح هذا الراى ، فلم يعترف الاستعمار للمغرب ولا لتونس ثم الجزائر بالاستقلال الا حينما ادرك أن الحركة التحررية أحاطت به من كل جانب

على أن اكبر تطور فكرى حدث بعد النفى هو الفكر البنائى الذى تكون عند الرئيس علال الى جانب فكر المقاومة للاستعمار ، فقد اتسع أفق فكره حتى اصبحت قضية الاستقلال مفروغا منها ، اصبحت عنده مسألة وقت ، ولذلك وجب التفكير فيما بعد الاستقلال ووجب التفكير فى المغرب على أساس انه جزء من عالم متشابه هو الذى أصبحنا نطلق عليه اليوم العالم الثالث وعلى أساس هذه الشمولية بدأ الرئيس علال يحلل مشاكل هذا العالم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وقليل هم الوطنيون أو السياسيون الذين اتسع أفقهم كما اتسع أفق الرئيس علال وهو يكتب النقد الذاتى فهو ليس بنظرات فى تاريخ العالم على غرار ما فعل نهرو ، وليس بتجارب حياتية على غرار ما فعل غاندى وليس بتأملات ذاتية شبه صوفية على غرار ما حاول نكرومة ولكنه دراسة فلسفية اجتماعية واقعية على نحو جديد لم يسبق أنيها فكر متحرر ، وقد بدأها من الانا » ممثلة فى الانانية ليسير مع تطور الفكر الانسانى من المجتمع الى الشمول الى الحرية الى العموم ، وتطور فى البحث ليجعل من الفكر وحدة يجب ان تعالج فى

مظاهرها وهكذا حلل الفكر الدينى والفكر الاسلامى والفكر الوطنى والفكر المغربى والفكر الادارى والفكر السياسى والفكر الحزبى والفكر القضائى والفكر الاقتصادى فى مختلف المحاولات التى قامت بها الاديان والفلسفات الاقتصادية لحل مشكلة الانسان الاقتصادية وانتقل من ذلك ليحلل الفكر الاجتماعى متخذا من المجتمع المغربى مثالا للتجربة تجربة الحلول التى يقترحها

اذا قلت أن العمل الذى قام به الرئيس علال فى كتاب النقد الذاتى يعتبر أكبر عمل من نوعه قام به فرد أو جماعة فى البلاد التى تفكر فى المشاكل الاساسية الحية فلن أكون مبالغا واذا قلت أن كتاب النقد الذاتى أعظم كتاب خرج فى العربية من مئات السنين فلن أكون مبالغا ، لا لان الرئيس علال وفر لهذا الكتاب مجهودا ضخما من البحث والاستقصاء والمراجعة ، ولكن لان عبقرية الرئيس علال استطاعت أن تتناول عالما متميزا — قبل أن يصبح هذا العالم متميزا عند الناس — فى مختلف مظاهر حياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، فتعرض المشاكل الاساسية فى عمقها لتبحث لها عن حلول عميقة جذرية ليست حلولا مرتجلة ولكنها حلول صميمة نابعة من حقيقة المشكلة لا منقولة من حلول لمشاكل نبعت فى بلاد أخرى ، ومن ثم كان الرئيس علال يطلع على الحلول التى يقترحها الآخرون **لمشاكلهم المتشابهة لمشاكلنا** فيرد منها ما لا يتفق مع صميم **مشكلتنا نحن فى العالم**

الثالث ، ويقدم الحلول الايجابية لمشكلتنا

وما يزال كتاب النقد الذاتى هدفا لم تصل اليه الحلول التى اتخذت لمشاكل العالم الثالث لانه كما قلت يقدم الحلول الجذرية ومن المؤسف أن يضل هذا العالم — حتى بعد أن استقل — فى اختيار الحلول التى تتفق ومشاكله الحقيقية

ولعل اروع مظهر لهذا التطور الفكرى يتمثل فى نظرة الرئيس علال للحرية لقد تشرب معنى الحرية من خلال جهاده الطويل وتفكيره المتصل ، وخلص من ذلك الى أن الحرية ليست هذه الحريات الجزئية ، ولكنها تلك الحرية المطلقة ، تلك الحرية الحرة ، تلك الحرية التى لا قيود لها ، والتى ليست حرة فقط فى أن تكون والا تكون ولكنها واجبة أن تكون لان وجوبها من نفسها ، لانها لا تستطيع الا ان تكون كاملة ، فلو فرضنا أن الحرية قدرت هى نفسها على الا تكون أو على أن تكون ناقصة كان ذلك باختيارها ، وحينئذ فلن تكون الا الحرية ، ان هذه الحرية المطلقة الكاملة هى الدرجة العليا فى الحرية ، هى حرية الله سبحانه وتعالى ، هذه الحرية الخلاقة هى الحرية المبدعة التى انشأت العالم والتى قالت لهذا الكون كن فكان ، انها نقطة البداية ، ولن تكون لها نهاية لان نهاية الحرية فناء كل شيء ان هذه الحرية هى التى يتخلق بها الانسان الانسان الذى خلق على صورة الله

والانسان فى مجهوده البشرى وفى مجهوده الروحى يسعى

دائما لان يتخلق بخلق الله أى لان يكون حرا ، ولا يمكن ان تقيد حرية الانسان هذه

هذا هو المبدأ الذى ينطلق منه الرئيس علال للتفكير فى الحرية ولذلك فالحرية عنده ليست وسيلة يمكن أن يلجأ الى غيرها من الوسائل اذا كانت تؤدى الى الغاية ، ولكنها حتمية من حتميات الانسان هى **للعالم كالهواء** للانسان ، يندثر العالم بدونها **كما يندثر الانسان اذا حبس** عنه هواء ومن هنا كان كفاح الرئيس علال يمتاز بالتشبث بالحرية حرية الانسان **فى جسده وفى تفكيره** وفى عيشه وفى عمله وفى تصرفاته وقد آمن كثير من المكافحين بالحرية ، ولكنهم سرعان ما ضحوا **بها لانهم** وجدوا وسائل أخرى ظنوها موصلة الى الهدف فكانوا اول المجهزين على الحرية ، ولكن ايمان الرئيس الرئيس علال بالحرية ما يزال المنار الذى يهتدى به فى طريق كفاحه ، واذا رأيتموه **يتشبث بالديمقراطية** ويضحى فى سبيلها مثل ما ضحى فى سبيل الاستقلال فمن ايمانه بالحرية يصدر ، ومن يقينه فى أن الحرية نظام كونى قد يندثر العالم بدونها فمنها يستمد قوته فى الكفاح ومنها جاء نفوره من كل ديكتاتورية تفرض على العالم أو على جزء من العالم ، وجاء تقديره للذين ناضلوا فى سبيل الحرية ولو كانوا خصومه وخصوم بلاده

ان التحول الفكرى الذى أحدثه النفى الطويل جعل فكر الرئيس يلتقى كمسلم وطنى مع كثير من الاتجاهات الحديثة ، او هى تلتقى مع فكره على الاصح ، فلفكره اصول وقواعد أو مبادىء لا يحيد عنها ، وهو يخضع

كل تطور فكرى او سياسى أو اقتصادى لهذه المبادىء لان الحرية تجعل من المفكر المتحرر فكرا معتمدا كذلك على مبادئه اما الفكر الذى لا مبادىء له فهو حرى الا ينتسب الى الفكر وفيما عدا هذه المبادىء فتعايش الافكار والبرامج والمذاهب رصيد يمد الفكر بالزاد الدائب والتضييق أو التحجير على الفكر هو عكس الحرية التى ينشدها ومن هنا تجده وهو الوطنى المسلم المتحرر ، يلتقى مع الشيوعيين فى كثير من الافكار ، وهو لا يعتبرها شيوعية حديثة لانه يجد اصوله فى الفكر الاقتصادى والاجتماعى الاسلامى ويلتقى مع الاشتراكيين فى كثير من الافكار لان الاشتراكية الاسلامية التى بلورها فى التعادلية ميدان متسع لبناء المجتمعات الحديثة المتطورة

هذا الرصيد الفكرى العظيم الذى يطفح به فكر الرئيس علال هو الذى جعل قيادته ناجحة فى المغرب وجعل اسمه يرن دائما فى العالم مقترنا بأفكار ومبادىء بالاضافة الى اقترانه بجهاد وتضحية ونضال ، فحينما يدرس قادة الفكر المعاصر سواء عند الدارسين العرب أو عند الدارسين الاوربيين والامريكيين يحتل الرئيس علال فصلا مهما من هذه الدراسات لا كمجاهد وطنى ، ولكن كمفكر لفكره امتياز بين المفكرين ، وقد صدر كتاب ضخم للكاتب الانجليزى روزنطار عن جامعة اكسفورد الانجليزية كتبه المؤلف عن التيارات المعاصرة ، وكان اكبر

فصل فيه عن الرئيس علال ، ومن المؤسف الا تترجم كل كتب الرئيس الى الفرنسية والانجليزية ويوم تترجم جميعهم سيجد الباحثون الاجانب فى هذا الفكر المتحرك مادة ضخمة لرصد التطور الهام الذى حدث فى الفكر العربى والاسلامى الحديث

من هنا أعتقد أن قيادة الرئيس علال للامة المغربية هى توفيق من الله لان القيادة فى هذا العصر ليست محتاجة فقط الى الرجل المناضل أو الذى يعتمد على رصيد نضالى فقط ، ولكنها محتاجة الى الرجل المفكر الذى تلتقى فى فكره التيارات المعاصرة بالقديمة ، والذى يستطيع أن يخرج من خلال التيارات — التى تكون مدمرة فى كثير من الاحيان — بالرأى السديد والتوجيه المستقيم ، والذى يقود فيحسن القيادة والذى تصمد شخصيته أمام الاحداث وأمام الشخصيات ، والذى يكافح بالرأى لا بالعاطفة ، فالعاطفة تذوب والرأى يستطيع أن يصمد ، والذى يخوض المعركة بوزن فكرى لا تؤثر فيه الاحداث ولا تعصف به الافكار الطارئة أو البراقة أو التى تأخذ قيمتها من لغتها وشعاراتها أو جدتها

من توفيق الله لهذه الامة ولحزب الاستقلال أن كان على رأس قيادته الرئيس علال وأنا لنعتبر وجوده وأفكاره ضمانة من الزلل وعصمة من الخطأ ووفق الشعب للاستفادة من توجيهاته

الكلمة سر الفكرة

كثيرهم الذين عرفوا علال الفاسى عن قرب فاستمعوا
اليه اوناظلوا معه اوناقشوه وحاوروه اوعرفوا افكاره الوطنية
السياسية والعلمية والاجتماعية والفقهية والقانونية
والاقتصادية وأكثر منهم اولئك الذين عرفوا علال الفاسى
عن طريق الكلمة قراوا له شاعرا وكاتبا ، قرأوا قصائده
فى الكفاح الوطنى والنضال من أجل الاستقلال ومن اجل
كرامة الانسان وحرية المراة وحق العامل وتمجيد بطولة
الكفاح فى الارض وتقويم الفكر وسيادة الحرية وقرأوا له
كاتبا يعالج مشاكل الانسان فى الوطن ويضع التخطيط لتوجيه
التفكير فى الاقتصاد والمجتمع والتعليم والدين والقانون
والادارة ، وقراوا له يعبر عن ضمير الشعب فى التعرف على
ارض الوطن وعلى الانسان فى الوطن وعلى عروبة المواطن
واسلامه ونضاله وقراوا له يوجه الحكم بضمير الوطنى فى
طريقة اصلاح البلاد وينبه الى مكامن الخطر كما اخطأت

حكومة او وزارة او ادارة ، وقراوا له يناضل فى سبيـــــل الديمقراطية واستعادة الشعب لسيادته فى الحكموالممارسة.

قراوا له يوما بيوم حينما يصدر له الكتاب او الكراسة او المقالة او البحث، وحينما يحاضر أو يخطب أو يملى تصريحا وحديثا ولهذا عاش القراء مع علال يعرفون افكاره ويناقشونها ، يقتنعون بها او يجادلون ، ولكنه عاش معهم فى كل نضاله الفكرى والعملى بحيث لا يقتنع بفكرة الا كتبها فى الاطار الذى يجب ان تكتب فيه كتابا او مقالة او قصيدة او محاضرة او خطبة او خاطرة ، وكلما سجل ما يفكر فيه يشعر بأنه لم يعد ملكا له ، وانماهوملكالمواطنين او للقراءجميعهم فكان يشعر عن وعى بأن الكلمة هى رسالة فكره الـــــى مواطنيه ، والعرب والمسلمون جميعهم مواطنون له

وهكذا كان علال الفاسى لايعتبر الكلمة سلاحا فحسب، ولكنه يعتبرها رسالة للجميع وسبر الفكر الذى يومن بـــــه ويناضل فى سبيله

من أجل نضال الكلمة فى حياة علال اعتبر الكثيرون مـــن الذين كتبوا عنه بعد وفاته أن أفكاره لم تمت لانه كـــــان حريصا على أن يضمن لها البقاء ان لم نقل الخلود

لنتصور الجانب الآخر من الموضوع ، ليكن هو

علال زعيم وطنى مناضل عاش لبلاده يقاوم الاستعمـــار ويسعى لتصحيح الاوضاع يقود حزبا يشارك فى الحـــكم او يعارض ، مر بحياة السجن والنفى والبعد ، وله آراؤه فى

السياسة والاقتصاد والاجتماع مارس النضال فى سبيل تحقيقها عن طريق الاتصال أو البرلمان ، ثم مات وليس فى آثاره كلمة تقرأ

هل سيكون علال هذا الذى تصورنا هو علال الذى انتجه الواقع كاتبا مناضلا بالكلمة مسجلا افكاره يعرضها للمناقشة والبحث والاقتناع أو الرفض ؟

انجب العالم كثيرا من الزعماء ناضلوا فى سبيل بلادهم فاعترف لهم العصر بنضالهم وقادهم النضال الى النصر او الهزيمة ، ولكنهم كانوا من النوع الثانى يناضلون ولايكتبون ، يفكرون ولايسجلون ، ولذلك كان اثرهم فى الحياة مرهونا بحياتهم ونضالهم محدودا فى البيئة الضيقة التى عملوا فيها

لن نذهب بعيدا لنبحث عن نماذج من هؤلاء الزعماء فى التاريخ او فى عالم آخر غير عالمنا العربى والاسلامى ولو أن الموضوع جدير بهذا البحث ولكنا نقط نشير الى محمد على جناح واقبال وطاغور وغاندى ونهرو لا اشك فى أن الكثيرين سيذكرون جناح باعتباره مؤسس باكستان ولكن فلسفة على جناح فى خلق باكستان لا أعرف انها سجلت الا من خلال الذين كتبوا عنه فى الوقت الذى يعرف الكثيرون ولاجيال قادمة طويلة اقبال وطاغور وغاندى ونهرو ولنأخذ مثلا آخر من زعماء النضال الوطنى فى سوريا القوتلى، سعد الله الجابرى مثلا ماذا يعرف الناس عن نضالهم أو عن فلسفتهم النضالية أو عن

عطائهم للثورة السورية سعد زغلول نفسه كان في العشرينات ألمع اسم في عالم النضال من أجل التحررالوطني ومصطفى النحاس كان ألمع اسم في مصر طوال الثلاثينات، والاربعينات ولكن جيل اليوم حتى في مصرلايكاد يعرف شيئ عن نضاله وأفكاره الا ملامح عارضة قد تكون بعض ما يوجد في كتب التاريخ أو كتب السير «مثلاكتاب العقاد عنسعد» سجلتها دون أن تأخذ عمقها من الكلمة التي يكتبها المناضل نفسه نتيجة تفكير وعمل ، السنوسيون أوعمر المختار في ليبيا ، والمهدى في السودان والثعالبيفي تونس ومصالي الحاج في الجزائر ، كلهم تركوا فراغا هائلا خلفهم لم يستطع حتى رجال التاريخ وكتاب السير أن يملاوا جزء منه

ما من شك في أن بعضهم على الاقل كانت عندهم أفكار وآراء سياسية واقتصادية وفلسفية تتصل بفلسفة المجتمع الذى عملوا فيه ، ان لم تكن نابعة عن ملاحظة علم وتفكير وعن قراءة واطلاع ، فقد تكون نابعة عن ذاتية وعن ممارسة النضال ولكنهم تركواهذهالافكار والاراءوالملاحظات النابعة عنالتجربة ، تركوا كل ذلك يموت بموتهم لانهم لم ينتفعوا من الدور الذى تقوم به الكلمة في تخليد الفكرة وفي ابلاغ الرسالة للاجيال التي تأتي من بعد

ولعل ظاهرة ابعاد الكلمة عن ميدان النضال تلتصق بعالم المتخلفين فلا يكاد يوجد زعيم أو قائد سياسي أو عسكرى في أوربا أو امريكا تحرك في ميدان السياسة او

الجندية الاترك افكاره مسجلة فى كتب تحليلية أو مذهبية وان لم يكن ذلك ففى مذكرات تجمع بين التاريخ والفكر والتجربة بل ان نضال اغلب هؤلاء بدأ بالكلمة ، لان نضالهم يخاطب الفكر والعقول المتحركة اكثر مما يخاطب الذين يطيعون ولايقراون ، ولان رسالتهم تتعدى عصرهم فيما يحسبون ، اكثر مما تتوقف عند حاضرهم ولذلك يستعملون الكلمة فيكتبون لتنمية الافكار وانمائها ، ولايصال الافكار للاخرين فيخلقون بذلك حوارا فكريا بين الذين يقبلون ويرفضون وليتركوا نتاج فكرهم لمن يأتى بعدهم فيستفيدون ويستمرون.

هذه الظاهرة تأتى من خطأ اساس عند الذن يتوهمون ان الكتابة عمل ادبى وربما انهم ليسوا من رجال الادب اذ هم من رجال السياسة أو الجندية فليسوا مطالبين بأن يخطوا بأقلامهم على اوراقهم ما فيه يفكرون

ولكن هذا الخطأ عارض رغم أنه أساس أغلب الظن ان الذين ينفقون يملكون ما ينفقون والكتابة انفاق فيما احسب والذين لا يكتبون لعلهم لا يملكون ما ينفقون والقادة الذين ملاوا الدنيا واسمعوا صوتهم عاشوا للقضية أو القضايا التى مارسوها يفكرون فيها ليلهم ونهارهم يقراون لها ليلهم ونهارهم ، **يحاورون ويناقشون ، وبذلك** يملاون دنياهم بالافكار والاراء والتحليلات والتجارب وسرعان ما يحسون بانهم مطالبون بأن ينقلوا ذلك للاخرين. لان رسالتهم تتعدى ذاتهم ، **ولان نضالهم تطبعه الغيرية،**

ولا يكفيهم أن يفكروا بالاخرين ، بل من واجبهم أن ينقلوا تفكيرهم هذا للاخرين

من حسن حظنا — بل من حسن حظ هذا الجيل فى العالم العربى والاسلامى — أن شعر الزعيم الراحل علال الفاسى بهذه الغيرية ، فكانت الكتابة **جزء من نضاله،** ولا تسير فقط فى ظل نضاله فهو **يكتب ليضع** التخطيط ولينقد الواقع وليوجه شعبه **والشعوب** العربية والاسلامية ، أكثر مما **يكتب ليسجل** نضاله أو أفكاره ومن ثمةأخذت كتبه ومحاضراته وخطبه بل وتقاريره فى مؤتمرات الحزب واجتماعاته الطابع الايجابى الكامن لنضال الكلمة الكلمة التى تحمل الرسالة والفكرة والتى **تنير الطريق أمام الذين يناضلون** والذين سيناضلون

ولا اكاد أجد زعيما شغل نفسه بالنضال العملى الذى شغل به الرئيس علال نفسه ، ولا زعيما قضى ازهر فترات عمره واقوى مراحل شبابه ورجولته فى المنفى السحيق وفى التشرد وفى البعد عن بلاده والتنقل من أرض الى ارض ، ثم تمكنمع **كل ذلك من كتابة كل ما كتب علال** فى مختلف مناحى المعرفة ، حتى فى أبعادها — فى نظر الذين لا يدركون شمولية تفكيره **النضالى — عن مجال** النضال كمقاصد الشريعة ودفاع عن الشريعة

لسبب واحد أعيد هذه الظاهرة فى علال الفاسى هو :

ايمانه بالفكر واعتقاده فى أن الكلمة وسيلة نضال ، بل هى سبيل الاتصال بين ما يفكر فيه وما يعمل به وبين أجيال الحاضر واجيال المستقبل



ان نختـــار

تلك هى الصفة المميزة للانسان

وقد حاول كثيرون ان يعرفوا الانسان ، وكان الانســـى اصبح «شيئا» مجهولا «ينبغى» تعريفه ، رغم أنه يحل حتى فى المعرف والمعرف له المهم انهم خرجوا به عن انسانيتـــه ليقدمون الينا فى تعريف «جماع مانع» حتى تستطيع أن نعرفه وبذلك لم ينزلوا فقط بالانسان الى درجة «الشىء» ، ولكنهم نزلوا بنا الى درجة من الجهل بالانسان ، بأنفسنا ،فاخترعو هذه التعاريف التى تقول مثلا الانسان حيوان ناطق، الانسان حيوان مفكر ، الانسان حيوان متكلم الخ

والمعروفون لم ينسوا كلمة «حيوان» فاتفقوا علينا ـــ ونحمد الله على انهم لم يخرجونا من الحيوانية ـــ ثم اختلفوا فى الباقى.

ولست ادرى ماذا اغرانى بأن ابدأ ـــ وانا افكـــر فـــى هـــذا الموضـــوع ـــ بالسير على منوالـــهم فعزمت علـــى ان «أعرف» الانسان بأنه «حيوان مختار» يختار طريقه. ويختار حريته ، يختار الذى يتعامل معه صديقا أو متاجرا ،

يختار من يعيش معه زوجا أو زوجة ، يختار النظام الــذى يحكمه ، ويختار اكله وملبسه، يختار مايقرأومايكتب ،ويختار البلد الذى يعيش فيه والامة التى ينتمى اليها ، والديــــن الذى يعتنقه

ومن سلسلة هذه الاختيارات تبدأ مشكلته فهو يعـــبرة، انه يختار لانه لايريد أحدا أن يفرض عليه اختياره ، ومـــن هنا يبدأ الاصطدام بين ما يعرف فى نفسه من هذا الاختيار وما يراد ، أى مايحد من اختياره، يبدأ الاصطدام بين الحرية التى يختارها والقيد الذى يفرض عليه ، بين الزوجة أوالزوج الذى يريدها او تريده وشريك الحياة الذى يفرض عليه بين النظام الذى يختاره والنظام الذى يفرض عليه وفى هذا الاصطدام يقضى الانسان فترة طويلة من حياته مصارعامناضلا مجاهدا لالشىء الا ليؤكد انه مختار ويرغب فى أن يظـــل متشبثا باختياره

اختار أن يموت واقفا وهو يلعن الكسل والاستنامـــــة والتشبث بالحياة البليدة .

لن اموت قبل أن اموت

هذا اختيار ليس من السهل أن يخرج به الانسان المختار كنتيجة لحياة حافلة بالحركة والنشاط والعمل. ولكن الذى يعود نفسه على أن تظل مستيقظة حتى فى فترة المنام لايمكن الا أن يختار الحياة العاملة النشيطة حتى آخر لحظة منها.

ولتكن هذه اللحظة فى بوخاريست وفى الصين لايهم

ولست أبالـــى حيـــن أقتـــل مسلمـــــا

على اى جنب كان فى الله مصرعـــــــــى

كان يحب الحياة ويطمع فى أن يطول عمره حتى الثمانين وكثيرون يحبون الحياه ولكنهم يفضلون أن يستريحوا مـــــن اعبائها فى الستين ، ليعيشوا مابقى منها وهم يتفرجون كما لوكانت شريطا «سينمائيا» يمر أمامهم فى ظلام ، لاصلة بينهم وبين مايمر أمامهم الا صلة المشاهد المحايد ولكنه كان يطامع فى الثمانين ليعيش منها الفا او تزيد

اختار ان يعيش هذه الحياة بالعرض لابالطول . يفكر فى ساعة ما يفكرفيه الاخرون الشهور ذوى العدد ، ويعمل فى اليوم مايقتضى من الاخرين السنوات لم يبلغ منه العمـــــر عتيا ، ومع ذلك كان يعرف أن أجله قد قرب فقد هاجمـــــه المرض واصاب منه القلب . ومع ذلك كان يقدر رسالته التـــى يتحملها عن اضطلاع بالمسؤولية واصرار للقيام بها ولوكان فى ذلك حتفه

هل كان يستهين بالخطر الذى يتهدده لانه يومن بالقضاء والقدر؟

قد يكـــون

ولكنه قبل ذلك وبعد ذلك سبق له أن اختار طريق العمل حتى الموت

يتنقل وهو يتحدى المرض والارهاق ويتحدى مع المـــرض الاطباء الذين اكتشفوا فيه الانسان ـــ وربما الاول من نوعه

الذى يتحدى اخطر مرض فى سبيل القيام برسالته —
يحاضر ويعلم ويسامر ويبحث ويكتب ويقول الشعرويجتمع
ويناقش ويدافع عن الرأى ويناضل فى سبيل العقيدة وهو
يتحدى المرض والطاقة البشرية لان ذلك جزء من رسالته،
وهو يريد أن يقوم بهذه الرسالة قبل ان يدركه الموت
يسافر آلاف الاميال ليبلغ رسالته ، ولو تعلقت بسيبويه
فمن خلال سيوبيه كان هناك شىء اسمه المغرب ، وهو
يريد لهذا المغرب ان يكون حاضرا فى شخصه ، وهو يعرف
دون تواضع انه حينما يظهر فى شخصه سيكون على القدر
الذى يريده له وعلى الصورة التى يجب أن يكون عليها
وتطير به الطائرة وتحط بين باريس وطهران وشيراز وابى
ظبى والكويت وبوخاريست. قلبسليمصحيح لن يتحمل هذا
الضغط القوى فى ايام معدودات ، ولكنه يستحث السيرليقوم
برسالته المغربية العربية الصحراوية الانسانية ليسمع صوته
اينما حل واينما ارتحل: ليصلح ذات البين بين فارس والبلاد
العربية ، ليطلب الى الامارات العربية أن يتحدوا فى دولة
واحدة حتى يتجنبوا خطر التمزق ، ليعلن نداء الكويت ميفجر
قضية الصحراء المغتصبة فى جانبها الوطنى والعربى ، ليعلن
لرئيس رومانيا عن رأيه الوطنى فى قضايا المغرب ، ليعلن
له عن العدل الانسانى فى قضية فلسطين ، ولتكون كلمة تحرير
فلسطين آخر كلمة ينطقها «الوالد» الذى اعتبرته المقاومه
الفلسطينية والداللمقاومة ولانه كان يعلم كل شىء عنها

وباستشارة منه ولدت من جديد ، الكلمة الاخيرة فى حياته كانت تحرير فلسطين ثم يقوم وهو متشبث بالحياة يطمع فى أن تسعفه نسمة هواء ، يقوم ليسلم الروح بعيدا عن الجدران والكرسى الوثير رافعا عينه الى السماء فقد عاش دائما وعيناه معلقتان بالسماء

هكذا اختار نوع الحياة التى عاشها

وهكذا اختار **نوع الموت الذى تجرعه .**

وهكذا اختار البلد الذى أسلم فيه الروح

بذلك لم يعط المثل للذين اختاروا نوع الحياة ونوع الممات ، ولكنه كذلك اعطى المثل للذين اختاروا أشرف حياة واقدس حياة حياة العمل والنضال الى النهاية لم ينهزم ولم يستسلم ، ولم يطلب الحياة لمجرد «حياة» ، ولكنه كان يختار . وسواء لديه اختار نوع الحياة ومكانها أم اختار نوع الممات ومكانها فقد كان يرحمه الله مغرما بالحرية حتى فى نوع حياته ونوع مماته

وقد تمتع بهذه الحرية حتى آخر نفس

انه علال الفاسى

عاش ومات من أجل أمته

حم قضاء الله واختار الى جواره الرجل الـــذى
ملأ الدنيا بجهاده ونضـاله وتضحيته واستنارة فكره

علال الفاسى ـاش مـــع المسلمين والعرب سنوات
جهاده التى تربى على الخمسين ولم يكن يرحمه الله يعرف
للحياة طعمـــا الا طعم الجهـــاد والنضال والتضحية مع
المواطنين ومن أجلهم وقـــد اختار طريقه وهو تلميذ لـــم
يتعد الخامسة عشرة فكان طريقا واضحـــا تبلور بعد ذلك
ـــ وهو يخوض المعركـــة ـــ فى الكفاح من أجل المسلمـــين
والعرب والمواطنين المغاربة

وقد صدق الوطن جهاد ابنـــه البار ، فكانت أفكـــاره
وعمله نبراسا للمواطنين جميعهم التفوا حولـــه ، وخاضوا
المعركة معه ، فكان بهم ومن أجلهم ومن روحهم استمد كل
ما امتاز به من ايمان ببلاده وعقيدته ، وصبر واستمرار فى
الجهاد ، وايمان بالنصر

آمن بالاستقلال لان ايمانه بالله كـــان يمده بالثقة فى مواطنيه ، وكانت تضحيته من اجل الاستقلال ووحدة البلاد واسترجاع اراضيها المغتصبة مستمدة من ثقته فى الله الذى لا يخلف وعده

وجاهد فى سبيـــل المسلمين بقدر ما جاهد فى سبيـــل مواطنيه وكان يومن بأن المغرب لا يمكن أن يسترد مكانته ويبلغ منزلته الا فى ظل العقيدة الاسلامية ، وفى وسط العالم الاسلامى ولذلـــك لم يكن يترك أية فرصة تمـــر دون أن يعمل من اجل وحدة المسلمين . وقد داهمه المرض ، ومـــع ذلك طار منذ ثلاثة شهور الى مكة المكرمـــة لينير الطريق امام الرابطة الاسلامية للعمل مـــن أجل وحدة المسلمـــين واسلم روحه الطاهره وهو فى رحلة ابتداها بنيران ليواصل رسالته التى بداهـــا منذ سنوات حتى يزيـــل كثيرا مـــن الشـوائب بين المسلمبن وليوحد بينهم

وانتقل الى أبى ظبى والكويت ليؤدى الجزء الثـــانى من رسالته التى اضطلع بهـــا ، وهى التأكيد للعرب أن هنك جزء من بلادهم هو الصحراء المغربية مايزال مغتصبا ، وان عليهم أن يضطلعوا بهذه المهمة كما يضطلع بها المغرب ولذلك كان آخر نداء وجهه قبل أن يسلم روحه ببضعة أيام هو دعوة العرب للاهتمام بالصحراء كما يهتمون بفلسطين لقد كافح من اجل الصحراء لان وحدة المغرب لـــم تكن تقل عنده عن الاستقلال لم يستسلم ولم يلق السلاح فى سبيل

الوحدة ، بل ظـــل يعتبر الاستقلال ناقصا ، ولن يتم الا بعودة الحدود ووحدة الوطن

واسلم الروح وهو يناضل فى سبيل هدفـــه الثالث فلسطين كان الهدف من رحلته الى رومانيا التى دعى اليها هى أن يوضح وجهة النظر العربية للمسؤولين الرومانيين فى قضية فلسطين كان يحمل هم فلسطين اكثر ممـــا يحمل هم المغرب لانه يعتبر احتلال فلسطين بداية المخطط الاستعمارى للقضاء على بلاد العروبة والاسلام

هكذا كان يعرف الوطنية واضحة شاملة متكاملة وفى هذا الخط الواضح سار جهـــاده ونضاله وبهذه العقيـــدة المتكاملة المتفردة استطاع أن يتزعم الفكر الوطنى ، ويقود المعركة بقلب المؤمن وعقيدة الزعيم وداب المجاهد

افتقدناه ولكن افكاره وآراءه وحياته وعقيدته ستظـــل تنـــير لنا الطريق لنسير معا — نحن المواطنين — حتى نستكمل الرسالة الكبرى التى عاش من اجلها ومات من اجـــــلها

وسيظل اسم علال كمحرر للامة ورائد للوطنية خالدا فى ضمير أمته لانه عاش من أجلها ومات من اجلها

وفاء

((وفاء))

من الكلمات التى كان يرددها كثيرا وهو يتحدث عن
الوطن عن الشعب عن المواطن ، عن الرأى ، عن الصديق عن العمل

يكاد يلخص منهجه فى الوفاء لكل عقيدة أو فكرة عمل يقوم به ، ويا اكثر ما كان يقوم به من عمل وتفكير ، ويا اكثر ما كان يصاحب من زملاء فى النضال ومن رجال ومفكرين وعظماء فى التاريخ فكان يفى لهم بكل ما رزق من روح كبير وصدر رحب وقلب واسع البعد

حياته لم يلخصها فى المكتبة والكتاب والقلم ، وقد كان حريا بعمله وذكائه وتفكيره وسعة أفق الموضوعات التى شغل بها حياته كان حريا بكل ذلك أن يحشره فى مكتبة بين الورق والقلم ولكنه كان يحب النور يراه فى وجوه المواطنين لذلك بدأ حياته النضالية مع الفلاحين والصنعين والعمال والطلبة والتجار الصغار ورجل الشارع كان يجتمع بهؤلاء جميعا **فيوجههم ويرتفع**

بنفوسهم ليكونوا مواطنين يحبون بلادهم ويدافعون عنها ويعملون ليحلوا المواطنة مكان **القبلية والوطن مكان المدينة** والقرية والمواطن مكان الفرد والطبقة المناضلة مكان الصنعة أو المهنة والاسلام الصحيح مكان الخرافة وكان يأخذ منهم الدرس حتى تكونت لديه من هؤلاء المواطنين مجموعة مصادر منها استقى مذهبه فى الوطنية ، ومنها أخذ رايه فى التعادلية الاجتماعية والاقتصادية ، ومنها اهتدى الى الطريق لبناء هذا الوطن فكتب دستور البناء فى أعظم كتاب مذهبى كتب فى العربية النقد الذاتى

وكان — على عهد الاستعمار — لا يعرف من أرض المغرب الا المنطقة الضيقة التى كان يسمح لمواطن ثورى مثله ان يتجول فيها ولكنه وفى للصحراء وتخوم الصحراء مثل ما وفى للجبل والسهل والقرية والمدينة واذا كان هناك شىء سيظل عالقا بتاريخ هذا الرجل العظيم فهو توعية المواطنين بالصحراء جهاده من أجل الصحراء خلق المغرب من جديد فى حدوده الحقة وفى أبعاده الصحراوية وفى رجاله الصحراويين الذين صنعوا جزء من تاريخه بدأ وحده ينادى بالصحراء فى وقت أخذت نشوة الاستقلال بتلابيب كل المناضلين فكان منهم من يقول ليتنا نستطيع أن نسير هذا الجزء الذى استقل وكان علال وحده يقول لا مغرب بدون صحراء لا استقلال بدون الاجزاء المغتصبة . .

هذا الوفاء لكل عقيدة ولكل ما فكر فيه وما عمل له ولكل من عرفهم من رجال وعمل معهم ، ولكل من علمهم ووجههم ، ولكل من اتصل بهم وتحدث اليهم ، ، ولكل من استفاد منهم او افادهم ، ولكـل ذرة من ارض الوطن ، ولكل حبة من رمل الوطن ، هذا الوفاء هو الذى برز مرة اخرى ، والناعى ينعى عـلال ، فبكاه كل من عرفه مـن اندونيسيـا حتى المغرب ، فى كل ارض تـردد فيها اسم علال مناضـلا او حاضرا او متحدثا او صديقا وفـاء الشعب للزعيم الذى قدم حياته للشعب هو الذى جـعل المواطنين يبكونـه بدمائهم ويهتفون من اعماقهـم : على نهجك سائرون وفـاء العامل والفلاح والصانـع والطالب والسياسى والمثقف هو الذى جعل هؤلاء وغير هؤلاء يذكرون علال كمعلم أول للوطنية المغربية ، وكمربى اول للرجولة والبطولة والتضحية ، وكرائد اول للنضال الوطنى وفـاء العاملين فى الحقل العربى والاسلامى وفى حقـل المغرب العربى هو الذى جعلهم يقفون خاشعـين يقدرون الرزء العظيم الذى أصاب الوطن العربى والاسلامى بفقد مفكر كبير كان عقله وقلبه وذكاؤه جميعا يسع العالم العربى والاسلامى علما وتوجيها وعملا

كان وفيا ، وكان وفاؤه يشع مع مبادئه وأفكـاره وعمله ونضاله ، ولذلك لم يكد ينعاه الناعى حتى برز هذا الوفاء — وقد أعجزه الموت عن أن يقدمه مرة اخرى — عند الذين قدم حياته من اجلهم بوفائه الكبير .

علال في سطور

ـ من عائلة عربيـــة هاجرت من الاندلس تحت اسم آل الجد وسكنت فـــاس فعرفت بعائلة الفـــاسى او الفاسى الفهرى

ـ عرفت العائلة الفاسية بمساهمتها فى ميادين المعرفة فكان منها علماء ومؤلفون وقضاة كثيرون

ـ والده هو السيد عبـــد الواحد ، وقد اشتغـــل بالتدريس فى القرويين وكان قاضيا ومفتيـــا لعدة سنوات وموظفا بالمجلس العلمى بكلية القرويين وتوفى حينما كـــان علال الفاسى فى المنفى سنة 1941

ولد علال الفاسى سنة 1910 بفاس ودرس فى الكتاب القرآن ثم فى المدرسة العربية الحرة الاولى فى فاس العلوم العربية واستمر فى دراستـــه فى القرويين حتى احرز على شهادة العالمية سنة 1932

ـ بدا حياته العلميـــة بالتدريس قبل الحصول على العالمية كأستاذ فى المدرسة الناصرية التى كان من منشئيها

ثم فى القرويين بعد ذلك

ـ بدأ نضاله السياسى وهو تلميذ صغير فكان رئيس اول جمعية سرية سياسية كونها طلبة القرويين

ـ ظهر نبوغه فى الشعر والخطابة ولذلك اختاره الطلبة رئيسا لجمعيتهم السرية

ـ اخذ نضاله الوطنى فى بداية عمله عدة جبهات

ـ كان يناضل ضد تصرفات الادارة وتزعم المطالبة بالاصلاحات البلدية امام المجلس البلدى لمدينة فاس

ـ كان يناضل لاصلاح التعليم عموما والتعليم فى القرويين على الخصوص

ـ كان يناضل ضد الشعوذة والطرق والاعتقادات المنحرفة

ـ اعتقل لاول مرة فى صيف سنة 1930 عندما قام المواطنون جميعهم ضد الظهير البربرى الذى كان يحاول ان يفصل العرب عن البربر فى المغرب من الناحية الدينية والقضائية والادارية ، وافرج عنه بعد نحو شهر من السجن ، ثم اعتقل مرة أخرى ونفى الى قرية بالاطلس المتوسط

ـ بعد المنفى عاد الى تسيير الحركة السياسية الوطنية التى انتشرت فى المغرب بأسره وعرف آنذاك على الصعيد الوطنى كأبرز شخصيات الحركة الوطنية

ـ بدا يلقى دروسا ليلية فى جمع القرويين وكان

يجتمع حوله آلاف المواطنيـــن ، وكان يتخذ فى دروسه مـــن تاريخ الاسلام موضوعا للتربية الوطنية والسياسية

ــ ضاقت الادارة بدروسه وحاولت منعه من القائها عن طريق مجلس القرويين ، ولكنها لم تنجح رغم أنها كانت تكلف من يسجل دروسه لتحصى عليه المخالفات السياسية او الدينية حتى تدينه بها

ــ حاولت الادارة اعتقاله سنة 1933 وهو عائد من طنجة ولكنه علم بذلك قبل أن يصل الى الحدود التى كانت تفصل المنطقتين فلم يدخل للمنطقـــة المشمولة بالحماية الفرنسية وسافر الى اسبانيـــا وفرنسا وسويسرا حيث اتصل بكثير من المناضلين العـــرب والمسلمين وفى مقدمتهم الامير شكيب ارسلان

ــ عاد الى المغرب فى أوائل سنة 1934 وعرضت عليه الادارة الفرنسية منصب وزير العدل فى الحكومة المغربية فرفض ، وشرح وجهة الحركة الوطنية للادارة الفرنسية وعاد الى دروسه الليلية لجماهير المواطنين فى القروييـــن ولتلاميذه بالنهار فى القرويين واشتد اقبال المواطنين على دروسه بعد أن عرفوا انه استهدف للاعتقال ، وكان غيابه بمثابة منفى

ــ منع أخيرا من التدريس فكان يدرس لتلامـــيذه فى منزلـــــه

ــ كان من بين أعضاء الوفد الذى قدم دفتر « مطالب

الشعب المغربى لجلالة الملك وللادارة الفرنسية سنة 1934 وتسمت الحركة الوطنية آنذاك بكتلة العمل الوطنى

— نظمت الكتلة نفسها ونظمت الخلايا واخذت تلح فى تحقيق المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى قدمتها

— فى سنة 1936 اخذت الكتلة تعقد مؤتمرات وتجمعات شعبية لشرح المطالب ولفضح اعمال الادارة الفرنسية وللاتصال بالشعب بشكل علنى

— حاصرت السلطة الفرنسية بالشرطة والجيش الاجتماع الذى كان منظما لهذه الغاية فى **الدار البيضاء** واعتقلت منظمى الاجتماع وفى مقدمتهم **علال الفاسى** ، ووقعت مظاهرات فى مختلف أنحاء المغرب **احتجاجا على** اعتقال قادة الكتلة واعتبر **علال الفاسى مسؤولا عنها** . واعتقل اثر المظاهرات مئات الوطنيين فى مختلف **المدن**

— أفرج عنه بعد شهر نظرا لان حكومة فرنسا الشعبية آنذاك اشفقت من أن تقع على عهدها اضطرابات فى المغرب

— نظمت الكتلة نفسها وانتخبته رئيسا وأصدرت صحف لها كان من كتابها الاوائل

— منعت كتلة العمل الوطنى فى نفس السنة ، فانشىء بدلها « الحزب الوطنى » تحت رئاسته

— فى نوفمبر 1937 اعتقل من جديد ونفى الى الغابون فى افريقيا الاستوائية ، وظل منفيـــا تسع سنوات حتى صيف سنة 1946

— فى الغابون تقدم لحكومة فرنسا الحرة تحت رئاسة الجنرال دوكول بطلب اعلان استقلال المغرب

— عـــاد الى المغرب وبدأ نشاطـــه كزعيم لحـــزب الاستقلال وهو الاسم الجديد الذى أعطى للحزب الوطنى بعد أن منعته الادارة الفرنسية عندما اعتقلت علال الفاسى وبقية زعمائه سنة 1937

— سافـــر الى فرنسا ثـــم الشرق العربى للاتصال بالدول العربية والاسلامية وبجامعة الدول العربية

— عاد فى أواخر سنة 1948 واستقر بطنجة ، ومن هناك كان يوجه حزب الاستقلال ويكتب فى صحفه ومجلاته. وفى هذه الفترة الف كتابه العظيم «النقد الذاتى»

— انتقل الى مصر والشرق العربى قبل نفى جـــلالة الملك محمد الخامس ليشرح المؤامرات التى كـــان يديرها المرشال جوان الذى كان مقيما عاما بالمغرب ثم الجنرال كيـــوم

— عندما اعتقل محمد الخامس أعلن فى «نداء القاهرة» النضال المسلح ضد الادارة الفرنسية بالمغرب

— قام بجولة فى دول آسيا وافريقيا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية لشرح وجـــهة نظر المغرب وعـــدوان

ــ نظم جيش التحرير وكن يشرف على تزويـــــده والمقاومة الداخلية بالسلاح

ــ كان من الـــدعاة لعقد مؤتمر للدول المناهضـــة للاستعمار فانعقد مؤتمر باندونغ وحضره على راس وفد مغربى ، وكان له تأثير فى توجيه مقرراته ·

ــ لم يعد الى المغرب الا بعد اعلان الاستقلال وعودة محمد الخامس وكان يعارض اجتماعـــات «اكس ليبان لان الادارة الفرنسية استشارت فيها مع جماعة من الخونة كالكلاوى والكتانى كما عارض اتفاقية الاستقلال التى لم يعترف فيها بحدود المغرب الحقـــة وتمتد حتى حـــــدود موريطانيا الجنوبية والصحراء التى قدمت للجزائر (وقد قام باصدار صحيفة صحراء المغرب التى تعتبر ذخيرة فى هذا الموضوع) ولكن معارضته كانت مبدئية لا سياسية فقد قاد حزب الاستقلال كما كن يقوده قبل الاستقلال

ــ تعرض الحزب لازمة خطيرة حينما انفصل عـــنه بعض اعضائه على اثر ازمة حكومية وكان الحكم بعـــدها من نصيب المنشقين ، ولكن شخصية علال الفاسى وصموده حفظت للحزب مكانته وشعبيته واعضاءه وخرج من الازمة منتصرا رغم ما عرف من اضطهاد وعنف

ــ اسس محمد الخامس المجلس التاسيسى لوضـــع الدستور سنة 1960 وانتخب علال الفسى رئيسا لهـــذا

المجلس ولكن المجلس لم ينجح لاسباب سياسية

ـ عرضت على علال الفاسى وزارة الدولة بعد وفاة محمد الخامس فقبلها ليعمل على تحقيق دستـور للبلاد ، وقد نجح فى المهمـة واشترط لقبـول الوزارة وضـع قانون اساسى مؤقت ريثـما يصدر الدستور ، وقد وضع بنفسه مشروع هذا القانـون الذى صدر بمرسوم فى يونيـه 1961

ـ كان له حظ كبير فى تحقيق دستور المغرب لسنة 1962 واستقال من الوزارة مع ممثلى حزب الاستقلال فى اول ينايـر 1963 لانه عارض توجيهـات الحكـومة الاقتصادية ورفض لهـذا السبب أن تسنـد الوزارات الاقتصادية لغير اعضاء حزب الاستقلال

ـ انتخب فى مجلس النواب سنة 1963 ، وكان لـه ضلع كبير فى توجيه المجلس وفى جميع التشريعات التقدمية التى اصدرها المجلس

ـ جدد انتخابه رئيسا لحزب الاستقلال باجماع منقطع النظير فى المؤتمرات العـامة التى عقدها الحزب بعـد الاستقلال أثناء سنوات 1960 ـ 62 ـ 65 ـ 67

ـ انتخب قبل استقـلال المغرب عضوا مراسلا فى المجمع العلمى العربى بدمشق وفى مجـمع اللغة العربية بالقـاهرة

ـ انتخب رئيسا لهيئة دائرة معارف المغرب العربى

القسم المغربى)

ــ الف عدة كتب منها

ــ النقــد الذاتى

ــ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى

ــ نــداء القاهرة

ــ حديث المغرب فى المشرق

ــ المغرب العربى منــذ الحرب العالمية الاولى الى اليــوم

ــ الحماية الاسبانية فى المغرب من الوجهة التاريخية والقانونيــة

ــ دفاع عن الشريعة

ــ مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها

ــ عقيدة وجهــاد

ــ منهج الاستقلاليــة

معركة اليــوم والغــد

ــ دائما مــع الشعب

ــ دفاعا عن وحدة البــلاد

ــ كــى لا ننسى

ــ الحقيقة عن الحدود المغربية (بالفرنسية)

ــ الكتاب الاحمر (بالفرنسية)

ــ وله ديوان شعر كبيــر لم يطبع ، كما نشر عــدة بحاث ومحاضرات فى كراسات خاصة

ـ ويعتبر علال الفاسى مفكرا مذهبيا كبيرا ، تجلت افكاره السياسية والاقتصادية والفقهية فى مختلف كتبه وقد كتب عنها وحللها عدد من مؤرخى الفكر الاسلامى والعربى الحديث باللغة العربية والفرنسية والانجليزية

ـ شرح أفكاره المذهبية والسياسية والاجتماعية فى التقرير التى تقدم بها لمؤتمرات حزب الاستقلال وهى التى صدرت فى الكتب الاربعة

عقيدة وجهاد ـ منهج الاستقلالية ـ معركة اليوم والغد ـ دائما مع الشعب

ـ يعتبر كتابه « النقد الذاتى » من أهم الكتب المذهبية وقد كتبه قبل الاستقلال وحدد فيه المنهج الفكرى لبناء المغرب المستقل ، متخذا من الحرية اساسا لكل تفكير او ممارسة فى هذا الكتاب يعتمد التحرر أساسا لكل تفكير ، ويعتبر العقل حكما مطلقا لكل عمل فكرى ، ويعتبر حرية التفكير حقا عقليا لا حقا طبيعيا ويقول فى فصل التحرر الفكرى « لنثق فى العقل ، ولكن لنرفع مستواه ولنعلم الشعب كيف يفكر ، ولكن لنحذر طفيليات الافكار لتكن حرية التفكير جزء من عقيدتنا التى لا تقبل الدفع وليكن فى حوار الفكر منهجنا الذى لا يبلى »

والتفكير عنده ليس لذاته ، ولكن يجب أن يكون اجتماعيا بحيث نفكر بالغير أكثر مما نفكر أنانيين ، ونفكر بشمول يعانق فيه الفكر كل المشاكل التى تعترض

الشعب ، كما يعتنق كل الاجزاء التى تتكـــون منها البلاد وكل العناصر التى يتكون منها الشعب

وهو لا يربط الفكر بالواقعية المادية ، ولذلك فعنده أن الايمان بالله فى مقدمة الاسس التى يجب أن يعتمد عليها تفكير المفكر ويؤكد أن الذين بذلوا الجهود ليقظة اوربا وأمريكا لم يكونـــوا بعيدين عن الله ، ولا متجردين مـــن مثاليته ، ولكنه يعتقد أن الدين لا يمكن أن يكون بعيداً عن الحياة الاجتماعية الا عند الذين عجزوا عن التوفيق بين العلم والدين وينطلق تفكيره هذا من ايمانه بأن الاسلام رفع قيمة العقل ، والقرآن دعا الى النظر والتبصر والتفكير والاحتكام الى الفكر السليـــم والعقل الراجح ويقـــول وهذا ما يجعلنا نومن بالعقل فى غير تحفـــظ ونعتد به فى تفكيرنا الدينى والدين فى نظر الاسلام لا يمكن الا أن يكون عونا للعلم ويعتبر ميزة الاسلام أنـــه قابل للتطور وصالح لكل الطبقات ولكل العصور ولمختلف البلاد وقـــد ترك هذا الدين المسلمين حـــق النظر فى كل ما هو مـــن شؤون الحياة وشؤون الدولة وانظمتها وشكل الحكم الذى يختاره الشعب لنفسه

فى هذا الاطار الفكرى المتفتح يعالج الفكر السياسى الذى يعتمد الديمقراطية وحكـــم الشعب لنفسه بنفسه والفكر الحزبى الذى يعلن فيـــه باسم الحرية الفكـــرية والتنافس فى العمل مبـــدأ تعدد الاحزاب ويرفض النظـــام

الاستبدادى القائم على الحزب الواحد الذى يؤدى الى جمع السلطة فى يد فئة واحدة

ويعالج الفكر الاقتصادى ايضا بهذا التفكير المستقل المتحرر من التعبد لاية نظرية قديمة او حديثة بعد ان يدرس مختلف النظريات وينتقدها ويقوم فكره الاقتصادى على ادانة احتكار الثروة فى يد اقلية ، كما يدين الراسمالية الحديثة التى قضت على كل الانظمة والديانات والمبادىء السامية ولذلك فهو يعتمد الفكر الاسلامى فى الاقتصاد الذى يعتبر المال وسيلة لا غاية ، واذا كان يرغب فى الكسب الحلال والاستغناء بالمال ويبيح الملكية ، فهو يحرم الربا كما يحرم التبذير لغير مصلحة **كما يفرض الزكاة على** المال المدخر او الرابح عن طريق الاستثمار ويفرض التضامن الاجتماعى الذى يجعل المجتمع مسؤولا عن الاقل الحيوى لكل مواطن فى معاشه وفى العلاج والتعليم حتى تتحقق العدالة الاجتماعية

والهدف الاساسى عنده من الاقتصاد هو تحرير الانسان من البؤس والبطالة ، واعتبار العمل ذا قيمة اكثر من قيمة المال ولذلك يطالب

— بالقضاء على كل انواع الاحتكارات وكل ملكية لا تتفق مع المصلحة العامة

— تأميم جميع المؤسسات ذات الصبغة العمومية ومصادر الثروة القومية والمرافق العامة

ـ توحيد الانتاج وتنظيم التوزيع

ـ تنظيم التعـــاون

ـ مساعدة الاستثمـــار الفردى والملكية الخاصـــة لمصلحة الجماعـــة

ـ التصاعد فى الضرائب

ـ تحديد الملكية الزراعية

ـ تقسيم الملكيات الزراعية الكبيرة وتوزيعها على الفلاحـــــين

ـ تأميم القروض وجعلها فى متناول المحتاجين

فى اطار هـــذا الفكر السياسى والاقتصادى المتحرر يعالج مشاكل المجتمـــع بشمولية تتناول المنزل والعائـــلة والتعليم والصحة والعمل النقابى وهو يستهدف وضـــع تخطيط لبناء مجتمع على أساس من **التفـــكير فى صالح** المجموع لا على أساس من الفردية والانانية

وما تزال أفكاره التى قدمها منذ ربع قرن موضع نضاله لتحقيق التعادلية الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمع تتعانق مشاكله لتجد حلولها الاساسية فى البرنامج الذى قدمه فى كتابه النقد الذاتى ».

وتعود زعامة علال الفاسى السياسية والفكـــرية الى شخصيته فهو يتمتـــع بكفاءة علمية ومقدرة على تتبـــع النشاط الفكـــرى من خلال التراث العـــربى والاسلامى ومن خلال واقع الفكر السياسى والاقتصـــادى فى اوروبا

والعالم الغربى ولكنه لا يتقبل الافكار أو المذاهب كما وضعها اصحابها ، وانما يعرضها عرضا **نقديا فيأخذ منها** ما يتفق مع اتجاهه وواقع بلاده والبلاد العربية والاسلامية عموما ويرفض مالا يتفق مع هذا الاتجاه ولا يعتبر رفضه لبعض الاتجاهات الفكرية فى الغرب تعصبا بمقدار ما يعتبر ذلك استقلالا فكريا نابعا عن شخصيته وحاجة بلاده وواقعها

وتمتاز شخصيته بالتشبث بأفكاره الى درجة التعصب والاسلام عنده قادر على أن يطبع الحياة العصرية ويحل مشاكلها بحلول تختفى معها التناقضات والاضطرابات الاجتماعية ، ولذلك كان التشريع الاسلامى عنده صالحا لهذا العصر بالمفهوم المتجدد الذى يعطيه اياه ويظهر هذا الاتجاه فى كتابيه القيمين مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » و دفاع عن الشريعة

كما كان يمتاز بالصلابة فى **أفكاره الوطنية والسياسية.** فقد كان متشبثا بضرورة عودة المغرب الى حدوده التاريخية والطبيعية ما دامت الوحدة الاقليمية تتحكم فى الوطن العربى والاسلامى ، ولكنه من اكبر دعاة الوحدة الاندماجية للمغرب العربى الذى يشمل شمال افريقيا من سيناء حتى حدود وادى السينغال

وهو ديمقراطى لا يقر الحكم الا على أساس ديمقراطى برلمانى .

يومن بالتعادلية الاقتصادية والاجتماعية والتعادلية عنده ليست الاشتراكيــة الغربيــة التى تعتمــد صراع الطبقات فى حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن تعــاون الطبقات على أسس الملكيــة المحددة للارض ووسائل الانتاج ولذلك فملكيــة الارض يجب أن تكــون للفلاحين المزارعين لا للملاكين المستغلين ومساهمة العمال فى المعامل اساسية لرفع **مستوى الانتاج والقيام بالتنميــة** الاقتصادية وتذويب الصراع الذى ينشأ بين العمل وارباب العمل ، وتأميم وسائل الانــتاج ومؤسسات الاحتكارات المالــية مــن المعادن والمنــاجم حتى البنوك وشركــات التأمــين

وهو يرى ضروره القضاء على احتكار المال والاتجار فيه ولذلك يجب القضاء على المؤسسات الربوية

اما البنوك فيجب أن تكون مؤسسات اجتماعية تنعدم فيها العلاقات الربويــة

جاهد علال فى الاقناع بآرائه **السياسية والاقتصادية** لا عن طريق الحزب كمؤسسة نضالية تسعى للحكم عــن طريق ديمقراطى لتنفيذ هذه الافكار فحسب ، ولكن عــن طريــق المحاضرات والكتابــة والمشاركة فى الجمعيات والمؤسسات داخل المغرب وخارج المغرب

وكان يعتبر علال فى العالم العربى والاسلامى زعيما لفكر التقدمى المرتبط بالاسلام **الذى لايرى اى تناقض بين**

الاسلام كدين له نظرياتـــه فى حل المشاكـــل الاقتصادية والاجتماعية والانسانية وبين الحياة العصرية المعتمدة على العلم والتى تتعقد غيها المشاكل بتعقد الاختراعات العلمية ومتطلبات حياة الانسان

ولهذا تجاوزت شخصية علال الفاســـى حدود بلاده ولم يقتصر اشعاعه الفكرى على المغرب الذى يستفيد من توجيهاته ، ولو كان بعيدا عن مراكز المسؤولية الحكومية بل تعدتها الى البلاد العربية والاسلامية

هـذا الكتاب

• علال الفاسي دخل التاريخ من اوسع ابوابه

• شخصية متعددة الجوانب : مناضل ، سياسي ، زعيم ، مفكر ، مثقف ، وطني ، عربي ، مسلم ،

• قاد الحركة الوطنية زهاء خمسين سنة

• ماذا صنع في خمسين سنة من النضال عاشها بالطول والعرض ، ولم يغش فيها لحظة دون ان يقوم بعمل أو ينتج فكرة أو يقود حركة أو يكتب كتابا أو يوجه شعبا أو يناقش ويجادل ويقنع ويقتنع

• ملامح هذه الشخصية الفريدة هي التي يتحدث عنها هذا الكتاب

مطبعة الرسالة

سعر النسخة : 8 دراهم